" موت الإمكانية وإمكانية الموت "

دراسة فلسفية مقارنة فى أنطولوجيا الموت

أ.د/ صفاء عبد السلام جعفر
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة
ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمـــة

لِمَ «الموت إمكاناً» أو «موتاً لكل إمكان» عنواناً لهذه الدراسة ؟؟ إن الإنـــسان مـــن حيث هو كذلك ليس بوسعه أن يتغاضى عن ظاهرة الموت مادام موجوداً - فى - العـــالم، وهو بتفكيره فى الموت يعبر عن ضرورة أنطولوجية تمكنه من مواجهة المصير المحتـــوم بحيث تتحول اللحظة الزمانية فى هذا العالم إلى زخم من الدلالات والمعانى ...

ولكن لِمَ «الإمكان» و «موت الإمكان» فى أنطولوجيا الموت ؟؟ ربمـــا لأنـــه - إن جاز لنا أن نطلق على تفسير «سارتر» الأنطولوجى لظاهرة الموت «مـــوت الإمكـــان»، وعلى تفسير «هايدجر» «إمكان الموت»، وذلك نتيجة لموقف كل منهمـــا مـــن مفهـــوم الإمكانية كما سيأتى بيانه تفصيلاً، فإننا نكون بذلك قد انتقلنا بالسؤال من مجـــال الواقعـــة الفيزيقية للموت - الوجود الزائف للموت بتعبير «هايدجر»، وواقعـــة المـــوت العرضـــية بتعبير «سارتر» - إلى مجال البحث الأنطولوجى فى الموت بوصفه تركيبـــاً أنطولوجيـــاً للموجود الإنسانى بما هو كذلك، تمهيداً لمواجهة الموت على نحو إيجابى مخالف تماماً لما يراه «سارتر»، وهو الهدف من تلك الدراسة.

¬ ¬ ¬

رأى بعض النقاد فى واقعة الموت، وكذلك فى الاهتمام بموضوع القلـــق «دلـــيلاً» يشهد على أن هناك ضرباً من الحالة المرضية فى النظرة الوجوديـــة، وعلـــى الانـــشغال بضعف الإنسان وفنائه بدلاً من الاهتمام بقوته؛ إلا أنه إذا سلمنا بالموقف «الصحى» تجـــاه الموت، وهو يعنى - وفقاً لهذا النقد - تجاهل واقعة الموت؛ فقد يكون ذلك حالة مرضية؛ أى هروبية غير صحية. فليس هناك تفسير للوجود الإنسانى يمكن أن يزعم أن لـــه أدنـــى درجة من الواقعية، ويغفل الإدلاء برأى عن الموت بوصفه خاصية عامة يتسم بهـــا هـــذا الوجود، فيرى «علماء الحياة» بأن وعى الإنسان بأنه سيموت هو إحدى الخصائص التـــى تسمح له أن يوجد بوصفه إنساناً وليس حيواناً[1].

يقول برديانف فى هذا الصدد:

---

(١) جون ماكورى: «الوجودية»، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة فؤاد زكريا - سلسلة عالم المعرفـــة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت، العدد ٥٨، ص: ٢٨٠ - ٢٨١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

«إننى لا أميل إلى الخوف من الموت ... لكننى شعرت بألم حاد إزاء فكرة الموت، وبرغبة جامحة فى إعادة الحياة لكل من ماتوا، وبدا لى قهر الموت المشكلة الأساسية للحياة؛ فالموت حدث أكثر أهمية وحيوية للحياة من الميلاد»[1].

ويمكن القول بأن العلاقة بين واقعة الموت والبحث الفلسفى عموماً تظهر فى ثلاثة جوانب:

(١) أن يكون الموت (مصدر إلهام) للفلسفة، وقوة الدفع الكامنة وراء التفلسف الذى يهدف أساساً إلى السيطرة على الخوف من الموت، والتصالح مع حتميته. (شوبنهاور).

(٢) أن يكون الموت (أداة) الفلسفة التى تزعم أنها وحدها التى تناسب الوصول إلى فهم للوجود، والكشف عن طبيعته الحقة التى يتخللها اللاوجود. (هايدجر).

(٣) أن يكون الموت «الوضع المثالى» للتفلسف، و«حالة» يمكن فيها وحدها أن يتحقق سعى الفيلسوف وراء المعرفة الحقة[2].

إن الحجة القائلة بأن الاهتمام بالموت يؤدى إلى إهمال المهمة المحددة والملحة المتمثلة فى تحسين الوضع الإنسانى، والاهتمام برخائه تتجاهل واقعة أن «الموت» بدوره ينتمى إلى «الوضع الإنسانى»، فضلاً عن أن إهمال المشكلات الوجدانية والعقلية النابعة من واقعة الفناء يساوى النكوص عما ينبغى أن يعتبر المسئولية الخاصة للفيلسوف فى تحليل المعنى الأنطولوجى للموت، إستناداً إلى أن ما نقدمه لظاهرة الموت من تفسير إنما هو سعى للوصول إلى معنى وهدف للحياة فى مواجهة قوة الموت المهلكة؛ ذلك أنه حين يظل المرء «لا مبالياً» بحقيقة «موته»، تظل «النتيجة العدمية» القائلة بعدم جدوى الوجود قائمة[3].

---

(١) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام - سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت، العدد ٧٧، ١٩٨٤، ص: ٢٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٨١.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٢٨٧ - ٢٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بناءً على ما سبق جاءت هذه الدراسة للبحث فى «مـــوت الإمكانيـــة» و«إمكانيـــة الموت» عند كل من «سارتر» و«هايدجر»، وهما على طرفى نقيض كما سيتضح لنا من سياق البحث

¬ ¬ ¬

تقع هذه الدراسة تحت عنوان «موت الإمكانية وإمكانية الموت - دراســة فلــسفية مقارنة فى أنطولوجيا الموت»، وتشتمل على مقدمة، ومدخل تمهيــدى، وثلاثــة مباحــث وخاتمة، وثبت بأهم المصادر والمراجع.

أما المبحث الأول فعنوانه: «التركيب الأساسى للموجــود الإنــسانى بــين ســارتر وهايدجر»، ويتناول الموضوعات التالية: الموجود الإنسانى بوصفه «ما لــيس - بعــد»، وبلوغ الموجود الذى لم ينته بعد إلى نهايته، ثم بلوغ النهاية بوصفه حال وجــود لا يقبــل المناوبة، وفى نهاية المبحث «تعقيب» نحاول فيه الإجابة عن السؤال الأساسى فــى هــذا الفصل: إلى أى مدى اختلف كل من سارتر وهايدجر فى تفسير التركيب الأساسى للموجود الإنسانى؟

وأما المبحث الثانى فيقع تحت عنوان: «الموت بين الوقائعية والإمكانية»، ويتنــاول الموضوعات التالية: الموت بين العبث واليقين، الطابع اللامعقول للانتحار وإمكانية الموت وموت الإمكانية فى ضوء تحليل رأى «سارتر» بأن الموت إعدام لإمكانياتى، والعلاقة بين الحرية والموت عند «سارتر»، ومعنى الوجود - للموت عند «هايدجر»، وينتهــى هــذا المبحث بتعقيب نحاول فيه الإجابة عن السؤال الثانى فى هذه الدراسة: ما المقصود «بموت الإمكانية» و«إمكانية الموت» - إن جاز لنا القول - عند كل من سارتر وهايــدجر، ومــا النتائج المترتبة على ذلك ؟

أما المبحث الثالث والأخير فيقع تحت عنوان: «الموجــود الإنــسانى بــين مــوت الأنطولوجيا وأنطولوجيا الموت»، ويتناول الموضوعات التاليــة: مفهــوم التنــاهى بــين الوقائعية والإمكانية، وانتظار الموت أو توقعه بين الوقائعية والإمكانية، ثم المــوت بــين «الوجود - للآخر» أو «الوجود - للأنا» عند كل من «سارتر» و«هايدجر»، ونختتم هــذا المبحث بتعقيب نحاول فيه الإجابة عن السؤال الثالث فى هذه الدراسة: ما طبيعة العلاقــة بين الموت والتناهى، والانتظار، و«الوجود - للآخر» أو «الوجود - للأنا» فــى ضــوء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوقائعية والإمكانية ؟ مع بيان ما يترتب على الإجابة من نتائج.

أما «الخاتمة» فهى تشتمل على بعض الملاحظات التى نُقيِّم من خلالها موقف الفيلسوفين إتفاقاً أو اختلافاً، سلباً أو إيجاباً.

وأما عن المنهج المستخدم فى هذه الدراسة، فهو المنهج «التحليلى التركيبى المقارن» الذى نهدف من ورائه إلى تحليل نصوص كل من سارتر وهايدجر حول ظاهرة الموت، وتفسيرها تفسيراً مقارناً فى ضوء مفهوم الإمكانية بوصفه الموضوع الرئيسى للبحث.

وعلى ذلك فإن الأسئلة المحورية فى هذه الدراسة يمكن إجمالها فيما يلى:

(س١) إلى أى مدى اختلف كل من سارتر وهايدجر فى تفسير التركيب الأساسى للموجود الإنسانى ؟

(س٢) ما المقصود «بموت الإمكانية» و«إمكانية الموت» - إن جاز لنا القول - عند كل من «سارتر» و«هايدجر» ؟ وما النتائج المترتبة على ذلك ؟

(س٣) ما طبيعة علاقة الموت بالتناهى، والانتظار، و«الوجود - للآخر» أو «الوجود - للأنا» فى ضوء مفهومى الوقائعية عند «سارتر»، والإمكانية عند «هايدجر»، وما النتائج المترتبة على هذه العلاقة ؟

وفى ضوء النتائج السابقة يمكننا التعرف على الأسباب التى دعتنا إلى أن نطلق على تفسير «سارتر» «موت الأنطولوجيا»، بينما أطلقنا على تفسير «هايدجر» «أنطولوجيا الموت».

¬ ¬ ¬

إن السؤال عن «إمكانية الموت» أو «موت الإمكانية» هو سؤال الأسئلة فى أنطولوجيا الموت، وعلى الرغم مما أحرزه الإنسان من تقدم تكنولوجى هائل، فلما يزل مهموماً بمصيره فى هذا العالم، وبكيفية مواجهة ظاهرة الموت خوفاً أو قلقاً أو قهراً لما يتسم به الموت من حتمية.

ومن ناحية أخرى، فإن «الوعى الأساسى بإمكانية الموت» يعيننا على التخلص من الشعور بالإلف والعادة فى الحياة اليومية المتوسطة؛ هذا الشعور الذى يقف حجر عثرة فى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيل معرفتنا الحقيقية بالموجودات.

إن «الوعى بالموت» يجنبنا أن نأخذ الأشياء كما تبدو لنا، بل يلفت انتباهنا إليها، ويشعرنا بقيمتها؛ لأن الشعور بالفقدان يدفعنا إلى إدراك أهمية ما نملكه، فضلاً عن أنه بإدراكنا لإمكانية الموت، وإمكانية فقدان وجودنا الخاص فى العالم، ندرك أيضاً معنى ذلك الوجود. ويعنى ذلك أن الوعى بالموت يجنبنا الاستسلام والخضوع لعالم الحياة اليومية اللاشخصى بما يتسم به من تقنية وأدواتية، كما أنه ينأى بنا عن فقدان البعد الشخصى لذواتنا[1] مادمنا أحياءً.

صفوة القول، إن «الوعى بالموت» من أهم صفات الذات الحقيقية - بخلاف ما يرى «سارتر» - تلك الذات التى تتسم بدورها «بالتصميم» لمواجهة عبء الموت، ولتحمل إمكانيته وفقاً لما يراه «هايدجر».

فهل تمكننا هذه الدراسة من محاولة قهر عدمية الموت، والانتصار على ما فيه من حتمية ... ؟؟

---

(1) Ehman, Robert R.: «The Authentic Self», Prometheus Book, New York, U.S.A., 1994, P. 136 - 137

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدخـــل :

يمكن القول بأن كلاً من «هايدجر وسارتر» «أنطولوجى» فى عمق، فهما يتطلعـــان إلى إقامة «علم وجود»، وهو أمر واضح خصوصاً عند «هايدجر»؛ غير أن «سارتر» لم يتبرأ من ذلك، وكتابه «الوجود والعدم» ١٩٤٣م(¬) يبرز لنا على نحو صريح فـــى ثـــوب أنطولوجى(١)؛ وبينما يدور بحث هايدجر الأساسى حول معنى الوجود، فإن ســـارتر يهـــتم إبتداءً بالحرية الإنسانية، وهو يتناول أيضاً مشكلة الوجود، ولكن بحثه تهيمن عليه مـــشكلة العدم، والواقع أن «سارتر» يدين بالكثير «لهايدجر»؛ ومع ذلك فهو يختلف معه، وربما لم يكن هذا الاختلاف واضحاً فى أى موضع بقدر وضوحه فى تحليل كـــل منهمـــا لتجربـــة الموت، وهو موضوع هذه الدراسة(٢).

يقول «سارتر» معارضاً بذلك «هايدجر» كما سيأتى بيانه تفصيلاً:

« ... ***إن الموت واقعة خالصة مثل الميلاد؛ إنه يأتى إلينا من الخارج، ويحولنا إلى الخارج، وفى الحق أنه لا يتميز أبداً من الميلاد، والهوية بين الميلاد والموت هى ما نسميه باسم الوقائعية***»(¬ ¬)(٣).

ولكن ما المقصود «بالوقائعية» **Facticity - Faktizität** ؟ يمكن وصف الوقائعية بأنها الجانب الداخلى للتمسك بالوقائع؛ فهى ليست حالة ملحوظة للأشياء؛ وإنما هى الوعى الوجودى الداخلى لوجود المرء الخاص كواقعة لابد من قبولها، فلم يختر أحـــد أن يكـــون على هذا النحو؛ بل يجد نفسه ببساطة فى الوجود. إننا نكتشف أنفسنا كموجـــودات حـــرة وسط عالم من الأشياء، ونحن لم نصنع أنفسنا فى هذا العالم، ونكاد نشعر بالدهـــشة؛ بـــل

(¬) **L'Être et le Néant.**

(١) ريجيس جوليفييه: «المذاهب الوجودية من كيركجور إلى سارتر»، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة محمد عبـــد الهادى أبو ريدة، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٠.

(٢) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٥٥ - ٢٥٦.

(¬ ¬) **«Death is a pure fact as in birth, it comes to us from outside and it transforms us into the outside. … and it is the identity of birth and death which we call factility» (Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 545).**

(٣) جان بول سارتر: «الوجود والعدم - بحث فى الأنطولوجيا الظاهراتية»، ترجمة عبد الـــرحمن بـــدوى، منشورات دار الآداب - بيروت، ط ١، ١٩٦٦، ص: ٨٦١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حتى بالصدمة عندما نكتشف أنفسنا هناك كواقعة يُحسب حسابها[١].

إن حالة الوقائعية هى حالة شئ معطى، وهى قبل كل شئ صفة وجودنا من حيث هو معطى؛ فالقول بأننا موجودون هناك هو واقعة عمياء لا يمكن تفسيرها. والواقعة المعطاة الواضحة هى ببساطة أننا موجودون وعلينا أن نوجد.

ويمكن النظر إلى «الوقائعية» على أنها ضد «الإمكان»[¬]. فليس هناك أبداً مستقبل مفتوح على نحو مطلق؛ بل إننى أكون دائماً فى موقف قائم فعلاً، وأواجهه بقدرات محدودة فعلاً، وعندما نتحدث عن «الإمكان»، فلابد أننا نقصد الإمكان الواقعى؛ إذ هناك ممكنات تحلق أمامنا طليقة من كل قيد، أو ممكنات توجد فى فراغ؛ إن الممكنات لا تحدث إلا فى مواقف فعلية، وهى محدودة عن طريق الموقف ذاته[٢]. وهذه الممكنات تحمل طابع التهديد المأساوى، وليس فى وسع الموجود الإنسانى أن ينجو من الصراع بين «الإمكان» و«الوقائعية»، فالإنسان، من ناحية منفتح وهو يسقط إمكاناته، وهو من ناحية أخرى منغلق عن طريق الموقف الوقائعى الذى يجد نفسه فيه بالفعل. والفهم والخيال يفتحان أمامنا مجال الإمكان؛ ولكن المشاعر تكشف لنا الموقف «المحدود» المتاح فعلاً، ونظل نحن نعانى من هذا التوتر بشتى الطرق؛ إذ أن الإرادة العاقلة تميل إلى أن تتوجه إلى هدف ذى قيمة[٣].

يرى «سارتر» أنه لا ثبات فى الوجود إلا ما نفرضه عليه فرضاً، كما أنه لا وجود لقواعد أو إطارات محددة لا تتغير، وفى هذه التجربة يتخذ الزمان والمكان مرونة تامة، فإذا انزلقت الحياة المألوفة التى نحياها، وفرت من بين أصابعنا أصابنا الغثيان.

وفى هذه التجربة لا نستطيع أن نتحدث عن الأشياء؛ فإن الأشياء هى ما أخلقه أنا حينما أتحدث عنها، وحينما أنظر إليها؛ بل أشعر أن الوجود عرض عابر، والأشياء موجودة دون أن نعرف لذلك سبباً.

إن تجربة «الغثيان» عند «سارتر» تجربة ميتافيزيقية؛ لأنها تكشف لنا عن أعماق

---

(١) جون ماكورى: «الوجودية»، ص ٢٧٥.

(¬) **Possibility - Möglichkeit.**

(٢) نفس المرجع الأخير، ص: ٢٧٥ - ٢٧٧.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٢٧٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الوجود، وهى تجربة فردية محضة، وعن طريق الغثيان وحده يميز «سارتر» بين نوعين من الوجود: الوجود الإنسانى ويسميه «الوجود - لذاته»(¬)، ووجود الأشياء ويسميه «الوجود - فى - ذاته»(¬¬)(١). وهذا الوجود الأخير فى هوية دائماً مع نفسه؛ أى أنه هو نفسه دائماً، وذلك لأنه يخلو من الشعور الذى يستطيع به الوجود الإنسانى أن يصبح شيئاً آخر غير نفسه.

إن وجود الأشياء عند «سارتر» لا معنى له، ولا سبب، ولا علة، ولا ضرورة ولا خالق يفسر وجوده، والوجود الإنسانى أى «الوجود - لذاته» هو الذى يهب للأشياء قيمتها، وقبل أن يأتى «الشعور» إلى العالم، كان هذا العالم فوضى مطلقة لا معنى لها(٢).

أما «الوجود - فى ذاته» فهو وجود مصمت بالنسبة إلى نفسه، لأنه ممتلئ بنفسه دون أن يكون فيه داخل يمكن أن يجعله فى مقابل خارج على صورة شعور أو حكم أو قانون، وليس فى هذا الوجود سر؛ وهو وجود متكتل، جوانية لا يمكنها أن تتحقق، ونشاط لا يمكنه أن يفعل؛ إنه ما هو عليه ولا شئ أكثر من ذلك، وكل ما نستطيع أن نقوله هو أنه «موجود».

وأما عن «الممكن» فهو تركيب من تركيبات «الوجود - لذاته» (أو تركيبات الشعور)، وليس من تركيبات «الوجود - فى - ذاته»، لأن «الوجود - فى - ذاته» ليس ممكناً، وليس محالاً: فهو موجود فحسب(٣). إن ما يمكن أن يقال عن الوجود هو شئ واحد وحسب: إنه وجود، إنه يوجد فى ذاته، وإنه هو ما هو، إن الوجود يوجد: فلا هو «يملك» وجوده، ولا هو تلقاه من جهة ما؛ إنما هو وجود عارض، وغير قابل للتفسير، فهو ليس فاعلاً، ولا منفعلاً(٤)، ولا هو إثبات ولا هو نفى، إنما يقوم الوجود معتمداً على ذاته لا أكثر، مصمت، جامد، الوجود هو ما هو، وكل إشارة إلى أى وجود آخر تكون هنا غير

(¬) **L'être - Pour - soi.**

(¬ ¬) **L'être - en - soi.**

(١) فؤاد كامل: «فلاسفة وجوديون»، سلسلة مذاهب وشخصيات، العدد الأربعون، مطابع الدار القومية - القاهرة، ١٩٦٩، ص: ٧٩ - ٨٠

(٢) المرجع نفسه، ص: ٨٠.

(٣) ريجيس جوليفيه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٤١ - ١٤٣.

(٤) بوشنسكى، إ. م.: «الفلسفة المعاصرة فى أوروبا»، ترجمة، عزت قرنى، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٦٥، ١٩٩٢، ص: ٢٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واردة؛ ذلك أن الوجود ليس له أية علاقة مع الموجودات الأخرى؛ بل هو خارج إطار الزمان، والتغير كصفة من صفات (ما فى ذاته) نتصوره على هيئة التغير الجامد الساكن.

وإذا كان هناك فى العالم نوع مختلف تماماً من الوجود هو «ما - لأجل - ذاته» وهو الموجود الإنسانى على التخصيص، وإذا كان كل ما هو موجود ينبغى أن يكون موجوداً - فى - ذاته، فإن «سارتر» يستنتج من ذلك منطقياً أن ذلك النوع الجديد من الوجود لا يمكن إلا أن يكون لا - وجوداً، وأن قوامه بالتالى هو «العدم»[١]. إذن «الموجود - لأجل - ذاته» يظهر حينما ينعدم الوجود، ولابد من أن نأخذ كلمة «العدم» هنا بمعناها الحرفى تماماً؛ فالعدم لا يكون؛ بل لا يمكن كذلك أن نقول إنه «ينعدم» (أى يطبق فعل العدم على ذاته) لأن الموجود وحده هو الذى يمكن أن ينعدم؛ بينما العدم يستطيع وحسب أن يبقى قائماً فى داخل الوجود كأنه «الدودة» أو «بحيرة صغيرة»؛ أما البرهنة على أن الإنسان من حيث هو ما هو؛ أى من حيث هو موجود - لأجل - ذاته قوامه العدم. فيرى «سارتر» متفقاً بذلك مع «هايدجر»[¬] أن الذى يؤسس العدم ليس هو النفى؛ وإنما للعدم أساس فى داخل الموضوع، فهناك بالتالى صفات سالبة.

والعدم - كما يرى «سارتر» - لا يمكن أن يكون مصدره هو «الوجود - فى - ذاته»، لأن «الموجود - فى - ذاته» ممتلىء كله بالموجود، وكثيف، وسميك. إذن يأتى العدم إلى العالم عن طريق الإنسان، ولكن لكى يكون الإنسان منبع العدم، فإنه لا بد أن يكون حاملاً للعدم فى داخل ذاته. والإنسان ليس فقط يحمل العدم فى داخل ذاته، بل إن العدم هو قوامه على التحديد، ولكن لا ينبغى أن نفهم من هذا أن الإنسان فى شموله عدم[٢]؛ بل هناك فى

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٨٩.

(¬) يرى «هايدجر» أن العدم ينشأ من فرار الموجود الإنسانى من وجه العدم الماثل فى صميم الوجود، ومن سقوطه فى الوجود الزائف - مختلفاً بذلك مع سارتر، ويظهر العدم حينئذ فى صورة «إنزلاق الموجود» ليصبح الموجود بأسره مزعزعاً، والعدم فى جوهره «نبذ أو طرد» يطلق الإنزلاق، ومن سماته أيضاً شعور الموجود الإنسانى بالوحشة أو «بأنها لم تعد فى بيتها»، وفيه ينهار - الإلف اليومى بالعالم من جراء الاهتمام بموجودات العالم المحيط - والعدم عند هايدجر هو الوجود - واتفق مع سارتر فى ذلك - لأنه كل ما يضفى على الموجودات سمة الوجود، وهو الموضوع الذى تعرف به ماهية الميتافيزيقا.
(قارن: كاتبة السطور: «الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر»، منشأة المعارف - الإسكندرية - ٢٠٠٠، ص: ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٢) بوشنسكى، إ. م: «الفلسفة المعاصرة فى أوروبا»، ص: ٢٨٩ - ٢٩٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنسان يوجد ما - هو - فى - ذاته: من ذلك جسمه، والأنا فيه، وعاداته، ولكنه ما هو إنسانى على التحديد فى الإنسان قوامه العدم[١].

ولا يعنى ذلك أن الإنسان تجسيد للعدم لأنه كذلك «وجود - فى - ذاته» كما سبق ذكره، علماً بأن ما هو إنسانى فيه؛ أى كونه من أجل ذاته هو الذى يُعد مصدراً للعدم، وعدم الوجود - من أجل - ذاته يبدو فى حريته؛ فالحرية هى الجانب غير المحدد الذى يُعد عدماً، وهى ليست صفة تضاف إلى الوجود - من أجل - ذاته، وإنما هى متحدة معه، وتتمثل فى أن الإنسان ليس كائناً أولاً ليكون حراً فيما بعد؛ إذ ليس هناك فارق بين كونه إنساناً وكونه حراً، فماهية الإنسان هى حريته، وهو محكوم عليه بأن يكون حراً[٢] كما سيأتى بيانه تفصيلاً.

يتميز «الوجود - من أجل - ذاته» بثلاثة إنبثاقات متخارجة **ek-stases**: انبثاقة نحو العدم، وانبثاقة متخارجة نحو الآخر، والأخيرة متخارجة إلى الوجود؛ والانبثاقة الأولى إنما هى إلى الحرية والوعى؛ حيث يفهم الوعى هنا باعتباره وعياً سابقاً على التأمل، والانبثاقة الثانية هى «الوجود - من أجل - الآخر»؛ حيث يعتقد «سارتر» أنه لا يتعين علينا أن نثبت وجود الآخر لأنه معطى لنا بصورة مباشرة، وذلك على سبيل المثال فى ظاهرة الخجل. إذن العلاقة الأساسية بين الضروب المختلفة «للوجود - من أجل - ذاته»[¬] إنما

---

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢١١.

(¬) يمكن الذهاب إلى أن ما يسميه «هايدجر» الموجود **das seiende** لا يمتلك أساساً لوجوده، وإنما يعتمد على غيره بصورة صارخة، وغير قابل للتفسير، ويسبق وجوده ماهيته، كما أنه فى ذاته «مكتمل» ومتصلب، وهو من ثم يقترب إلى حد كبير من مفهوم «سارتر» عن «الوجود - فى - ذاته»، وليس هناك مكان للحرية فيه؛ أما «الوجود - من أجل - ذاته» عند سارتر فهو يقترب فى المعنى من الوجود الماهوى عند هايدجر أو الموجود الإنسانى المتعين **Dasein - Being - there**، ولما كان كل ما هو موجود يتعين فى المقام الأول أن يكون «وجوداً - فى - ذاته»، فإن «سارتر» يستنتج أن الوجود - من أجل - ذاته لابد أن يكون لا وجود؛ أى لابد أن يتخلله العدم، فالعدم موجود فى وسط الوجود، و«الوجود - من أجل - ذاته» أى وجود الإنسان ينشأ لأن الوجود يعدم ذاته، متأثراً فى ذلك بما ذهب إليه «هايدجر» من أن العدم «مقولة وجودية» وليس «مقولة منطقية»؛ فالعدم «واقعى» بمعنى أنه غياب ونقص يتعلق بمقولة السلب، إذن «العدم» هو الأصل فى السلب عند هايدجر لا العكس، كما أنه شرط الوجود، وعنصر داخل فى تركيب الوجود.
(قارن: كاتبة السطور: «الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر»، ص: ٢٩٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هى علاقة يحاول فيها كل ضرب من هذه الضروب السيطرة على حرية الآخر[1].

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٦١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الأول

التركيب الأساسى للموجود الإنسانى بين سارتر وهايدجر

(أ) الموجود الإنسانى بوصفه «ما ليس ـ بعد».

(ب) بلوغ الموجود الذى لم ينته بعد إلى نهايته.

(جـ) بلوغ النهاية بوصفه حال وجود لا يقبل المناوبة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التركيب الأساسى للموجود الإنسانى

(أ) الموجود الإنسانى بوصفه «ما ليس - بعد»:

«Noch - nicht» - «anot - yet»:

ذهب «سارتر» فى كتابه «الوجود والعدم» فى معرض حديثه عن الفرق بين الحياة والموت - إلى أن:

> ***«الحياة تقرر معناها هى نفسها؛ لأنها دائماً فى تأجيل، وتملك من حيث ماهيتها قدرة على النقد الذاتى والتحول الذاتى تجعلها تتحدد بأنها «ما ليس - بعد»، أو أنها تشبه تغييراً لما هو قائم، والحياة الميتة لا تكف، لهذا، عن التغير، ومع ذلك فهى قد صُنعت. ومعنى هذا أنه قُضى الأمر بالنسبة إليها، وأنها ستتحمل منذئذ تغيراتها دون أن تكون مسئولة عنها أبداً ... ولا يمكن أن يأتيها شئ من الداخل، وهى مغلقة تماماً ... لكن معناها لا يكف أبداً عن التغير من الخارج»***[(١)(¬)].

يترتب على تصور «سارتر» السابق أن تكون الحياة هى مجرد الهروب من الماضى، ولا يمكن أن يكون لها أى هدف آخر؛ فهى لا تستطيع أن تصل إلى مكان ما بالتحديد لأنها لا تستطيع أن تصل، ولا تستطيع إلا أن تواصل، والحياة ليس لها من قالب أو نموذج إلا هذا المسار الذى سلكته مفزوعة خلال الأدغال العارضة لتاريخها الشخصى بالذات. ولا يكاد يكون من الممكن أن تعتبر مثل هذه الحياة ذات معنى؛ بل إن اعتبارها «اشتياق لا جدوى منه» قد يكون وصفاً أصدق وأكثر ملاءمة[(٢)].

وإذا كان هذا هو تصور «سارتر» للحياة والموت، فإن «هايدجر» يرى فى المقابل أن «الموت» ظاهرة لابد من أن تفهم وجودياً، ولابد من توضيح معناها المتميز وتحديد

---

(١) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ترجمة عبد الرحمن بدوى، ص ٧٥٨.

(¬) « **... it is entirely closed; nothing more can be made to enter there, but its meaning doesn't cease to be modified from the outside».**
Cp.: Sartre, J.P: «Being & Nothingness ...», P. 543.

(٢) جيمس كارس: «الموت والوجود - دراسة لتصورات الفناء الإنسانى فى التراث الدينى والفلسفى العالمى»، ترجمة بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨، ص: ٤٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معالمه، فالموت يعبر عما «ليس - بعد» سيكونه الموجود الإنسانى، ويرتبط به مـــا بقـــى حياً، وهو نوع من الاعتقاد الدائم الذى يجعله يسعى نحو تحقيق إمكاناته[١]، وهـــو الأمـــر الذى يختلف فيه «هايدجر» مع «سارتر» إختلافاً بيناً كما سنبين تفصيلاً.

أما هايدجر فيقول:

«إستباق(¬) الموجود الإنسانى لذاته فى الهم كعنصر فى بناء الهم(¬¬) يبين بوضوح أنه فى الموجود الإنسانى يوجد دائماً شئ لم يتحقق بعد يعبر عن الإمكانية التى لم تصبح بعد واقعاً فعلياً، فالتركيب الأساسى للموجود الإنسانى يدل باستمرار على أنه لم يتخذ شكلاً أو صورة نهائية[٢] ... الموت ليس وجوداً خارجاً عن الموجود الإنسانى، ولا يقبع خارج الموجود الإنسانى، وإنما يواجهها باستمرار ما دام موجوداً، وهو يعبر عن ذلك الموجود نفسه وإن لم يكن فى حالة انتهاء تعبر عن البنية الكلية لها[٣]، وإذا لم يكن فى حال احتضار فالموت ليس جزءاً من المركب الكلى، وهو بالأحرى يكون كلية الموجود الإنسانى من البداية، وعلى أساس هذه البنية الكلية أصبح للموجود الإنسانى انبثاقات زمانية خاصة به، وطرق ممكنة للوجود»[٤].

يتضح من النص السابق أن مشكلة الموت عند «هايدجر» ترتبط بسؤال آخر: كيف يمكن للمرء أن يدرك وجود الموجود الإنسانى ككل ؟ يمكن إدراك الوجود الكلى للإنـــسان من خلال عنصر أصلى وأساسى داخل فى تكوينه هو «ما ليس - بعد»، فما دام موجـــوداً فهو «ما ليس - بعد»؛ أى أن إمكانياته جميعاً لم تتحقق بعد، وما أن يموت، فإنه لـــم يعـــد

---

(1) Heidegger, M.: «Being & Time», trans. By John Macquarriea Edward Robinson, Basil Blackwell, Great Britain, 1963, P. 279-

(¬) Sich - vorweg - sein, Being - a head - of - itself.

(¬ ¬) Sorge - Care.

(2) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 286.

(3) Ibid, P. 286 - 294.

(4) Heidegger, M.: «Prolegomena Zur Geschichte Des Zeit Begriffs), Gesamtausgabe, B. 20 herausgeg. Von Petra Jaeger, Vittorio Klostermann, Frankfurt, Am Main, Germany, 1979, S. 432.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

«هناك» بوصفه كذلك[١]، فالموجود الإنسانى لا يستطيع أن يحقق كل إمكانية، وهو من ثم وجود ناقص بطبعه، أو هو وجود مؤجل باستمرار، وهذا «الليس - بعد» صفة مكونة للموجود الإنسانى، وداخلة فى تركيبه بطبيعتها، والموجود الإنسانى لا يصل قط إلى الصورة التى يريدها، ففكرة التأجيل أو «الليس - بعد» إتجاه دائم نحو تحقيق إمكانيات ذلك الموجود التى هى فى الحقيقة ذاته التى يريد أن يكونها، والتى تظل دائماً وبالضرورة فى متناول يده؛ فالموجود الإنسانى لا يمكن أن يلحق بنفسه[¬] وفقاً لطبيعته، وبلوغ نهايته بالنسبة «لليس - بعد» إنما هو توقف عن الوجود باعتباره موجوداً إنسانياً[٢]؛ ذلك أن عدم اكتمال ذلك الموجود صفة جوهرية لوجوده، لأنه فرار مستمر صوب إمكانياته، وصوب ممكن ليس شيئاً آخر غير نفسه؛ إنه، بالأحرى، كائن ماهيته ألا يستطيع اللحاق بنفسه أبداً[٣].

الخلاصة أن الموجود الإنسانى غير مكتمل على طريقة «ليس - بعد» بوصفها سمة تميز ذلك الموجود مادام موجوداً، وأن وصوله للنهاية لا يعنى سوى توقفه عن الوجود بوصفه موجوداً إنسانياً[٤]؛ مما يعنى أن ذلك الموجود هو عدم الاكتمال، وعدم التحقق، وهو فى الوقت نفسه «وجود - للنهاية»[٥](¬¬).

(ب) بلوغ الموجود الذى لم ينته بعد إلى نهايته :

ذهب «سارتر» فى القسم المعنون «موتى» من كتابه «الوجود والعدم» إلى أن:

«الموت كان يُعد دوماً ... الحد النهائى للحياة الإنسانية(¬¬¬)، ولهذا كان من الطبيعى أن فلسفة مشغولة خصوصاً بتحديد الموقف الإنسانى بالنسبة إلى

---

(1) Gelven, M.: «A Commentary on Heidegger's Being & Time», Harper & Row Publishers, New York, 1970, P. 146 - 147.

(¬) Aufstehen - Outstanding.

(٢) فؤاد كامل: «فلاسفة وجوديون»، ص: ٣٧.

(٣) ريجيس جوليفيه: «المذاهب الوجودية ..»، ص: ١٠١.

(4) Jolivet, R.: «Le Probléme de la Mort chez M. Heidegger et J. P. Sartre», Ed. De Fontenelles, 1950, P. 24.

(5) Steiner, G.: «M. Heidegger - Eine Einführung», aussdem Englischen Von Martin Pfeiffer, Carl Hanser, Verlag, München, 1989, S. 161.

(¬¬) Sein - zum Ende, Being - towards - the end.

(¬¬¬)The final boundary of Human Life.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللاإنسانى المطلق المحيط به، كانت تعد الموت باباً مفتوحاً إلى عدم الوجود الإنسانى، وأن هذا العدم كان التوقف المطلق للوجود، أو الوجود الماهوى على شكل غير إنسانى»[١].

لاحظ «سارتر» - كما يبدو من النص السابق - أن الموت يُنظر إليه عادة على أنه نوع من الحدود، ومن طبيعة الحدود أنها تتجه فى إتجاهين أحدهما للخارج نحو المجهول الغريب، والآخر للداخل المعروف والمألوف. إلا أن «سارتر» يرى - تعقيباً على ذلك - أن إستعارة الحدود إستعارة خاطئة، لأن الموت هو دائماً لا معنى له سواء نظرنا إليه من الخارج أم من الداخل، وأولئك الذين ينظرون إلى الموت على أنه حدود تواجه الخارج نحو «ما هو غير إنسانى»، فإن «سارتر» يطلق عليهم الواقعيين **Realists**؛ فالموت بالنسبة لهم هو تلك اللحظة التى نمضى فيها صامتين إلى هذا الليل المظلم؛ غير أن الخطأ فى هذه النظرة يقع فى افتراض أننا على نحو ما نستطيع أن نوجه أنفسنا جهة هذه اللحظة الأخيرة، يمكننا أن نستعد لها على نحو يجعل منها قراراً عميقاً لمعنى حياتنا، ولكن هذا الافتراض لا يعمل حساباً لأن الموت يأتى عندما يشاء لا عندما نريد[¬][٢].

أما «هايدجر» - فى المقابل - فيرى أن بلوغ الموجود الذى لم ينته بعد إلى نهايته يحمل طابع عدم الوجود أو استحالته قائلاً: «... *عندما يصل الموجود الإنسانى إلى بنيته الكلية*[¬] *بالموت يتعذر إدراكى لذاتى، لأن الوجود الذى يفترض عثوره على ذاته بالوصول إلى البنية الكلية لم يعد فى الواقع موجوداً بسبب هذه البنية الكلية ... فالموت يمنعنى من تجربة وجودى الخاص فى بنيته الكلية*[٣] *... ولا يعنى وصوله إلى هذه البنية سوى افتقاده للوجود - فى - العالم، فلا يحيا كموجود*

---

(1) Sartre, J. P.: «Being & Nothingness - An Essay on Phenomenological Ontology», Trans. By Hazel E. Barnes, Metheuen & Co. LTD., London, 1977, P. 532.

(قارن أيضاً: جان بول سارتر: «الوجود والعدم ...»، ترجمة عبد الرحمن بدوى، ص: ٨٣٩).

(¬) يرى «سارتر» أن الوضع الإنسانى فى هذه الحالة يمكن أن يوصف على وجه أدق إذا قارنا أنفسنا برجل محكوم عليه بالموت، فيمضى ويعد نفسه بكل شجاعة للعقاب الأخير، ويفعل كل ما يستطيع ليكون سلوكه على المشنقة سلوكاً مشرفاً، ولكنه مع ذلك وفى هذه الأثناء يموت بوباء الأنفلونزا.

(٢) جيمس كارس: «الموت والوجود ...»، ص: ٤٩٣ - ٤٩٤.

(¬) Gänze - Wholeness.

(3) Heidegger, M.: «Prolegomena …», S. 426.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مرة أخرى»[١].

يتضح من النص السابق أن الموت - عند هايدجر - هو أعظم المعطيات كلها صلابة فى الوجود البشرى، ولا يمكن إلغاء الموت، لأن الموت والتناهى الزمانى جانبان مكونان للموجود الإنسانى حتى أن الحياة الإنسانية التى لا نهاية لها سوف تكون شيئاً مخيفاً؛ فالموت سيظل جزءاً من الوضع الواقعى لذلك الموجود[٢].

كما يتضح لنا أن الموجود الإنسانى يمكن أن يدرك بنيته الكلية فقط عندما لا يعود موجوداً هناك، ومادام لم يصل بعد إلى نهايته، يبقى غير مكتمل؛ علماً بأن الاكتمال ليس بالضرورة تحققاً[٣]، ولا يهتم بنهاية ذلك الموجود حتى لا تكون موضوعاً لأى تجربة أو خبرة[٤].

يؤكد «هايدجر» - مخالفاً «سارتر» - أن الموت يحمل معنى «الانتهاء» وأن الانتهاء يحمل معنى «الاكتمال»، ولما كنا نصف الموت وصفاً أنطولوجياً على أنه تناهى الموجود الإنسانى، فإنه ينبغى علينا تحليل كلمة «الانتهاء» لتدعيم تفسير الموت أنطولوجياً[٥]. وللنهاية معان عدة؛ فإذا كان نضج الثمرة نهاية أو إكتمالاً، فإن «هايدجر» يرفض تشبيه الموت بنضج الثمرة، حقاً إن الثمرة اكتمال، ولكن على أساس الكمال المكتسب؛ أما اكتمال الموجود الإنسانى «فإنهيار وانحطام» لا يمت إلى الكمال بصلة، هذا إذا فهمنا من ذلك استنفاد إمكانياته الخاصة. «نحن نموت ناقصين، كما أننا نموت وحدنا». الموت ليس توقفاً للوجود، لأن الموجود الإنسانى لا يتوقف عن الوجود نتيجة لحدث خارجى؛ وإنما الموت بالنسبة له طريقة للوجود تؤثر فيه منذ أن يوجد، فضلاً عن أن وجود ذلك الموجود مختلف تماماً عن وجود الأشياء الحاضرة أمامنا أو الأشياء التى نستخدمها، كما أن الانتهاء ليس شيئاً موجوداً فى هذه الأشياء بالضرورة منذ وجودها[٦]. ينتهى «هايدجر» إلى عبارة[¬] وردت فى إحدى القصص الألمانية الشهيرة فى

---

(1) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 280 - 289.

(٢) جون ماكورى: «الوجودية»، ص: ٢٨٦.

(3) Steiner, G.: «M. Heidegger …», S. 158.

(4) Jolivet, R.: «Le Problème de la Mort …», P. 21.

(5) Badawi, A.: «Le Problème de lé Mort dans la Philosophie Existentielle», Faculté des Lettres de L'université Ain Shams, 1964, P. 86.

(٦) مارتن هايدجر: «نداء الحقيقة»، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الغفار مكاوى، سلسلة النصوص الفلسفية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧، ص: ٨٥.

(¬) وردت العبارة فى الفصل العشرين من القصة التى ترجمها إلى العربية د. كمال رضوان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العصور الوسطى، وهى قصة «الفلاح من بوهيميا»(¬¬) للشاعر يوهانيس فون تيبل (ت. حوالى ١٤١٤م)، وهى عبارة بالغة الدلالة على أن الموت ليس حدثاً ولا واقعة؛ وإنما يتغلغل فى حياتنا فى كل لحظة من الميلاد إلى الوفاة:

«ما أن يأتى الإنسان إلى الحياة حتى يصبح شيخاً هرماً ناضجاً للموت»(¬¬¬).

ويعنى ذلك أن الموت عند «هايدجر» طريقة لوجود الموجود الإنسانى مادام وجوداً - فى - العالم، وأن الحياة ليست سوى أن نحيا موتنا، فالموجود الإنسانى - إذن - وبمعنى أنطولوجى هو «الوجود - للنهاية»، والصورة الكاملة لمعنى الوجود الإنسانى يمكن إدراكها فقط عندما يجرب كل الممكنات، وكل طرق الوجود، ويحققها، ولا يتحقق ذلك إلا بموته(١). وإذا كان الموجود الإنسانى يدرك معنى الوجود لأنه موجود متناه، فإن وجوده الحقيقى وجود - للموت(¬)- وهو الأمر الذى يختلف فيه «هايدجر» عن «سارتر» إختلافاً بيناً كما سنرى تفصيلاً - علماً بأن الموت بأوسع معانيه الأنطولوجية عند «هايدجر» ظاهرة للحياة(¬¬)(٢)، فالمشكلة الحقيقية للموت - فى نظره - هى مشكلة الواقع الإنسانى فى هذا العالم(٣).

(¬¬) **Der Ackermann aus Böhmen.**

(¬¬¬)**«So bald ein Mensch zum leben kommt, so gleich ist er alt genug zu sterben».**

(١) مارتن هايدجر: «نداء الحقيقة»، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الغفار مكاوى، ص: ٨٥.

(¬) **Sein - zum - tode, Being - towards - death.**

(¬¬) يتفق «ريلكه» الشاعر الألمانى مع هايدجر فى تصوره هذا عن الموت، فالموت ظاهرة إنسانية - كما يرى ريلكه - إنه الظاهرة الأخيرة، ولا يزال من الحياة، وبهذا الاعتبار يؤثر فى الحياة كلها فى إتجاه مضاد للتيار، والموت يصير معنى الحياة، وهو ليس بعد المجهول الكبير الذى يحد ما هو إنسانى؛ بل هو ظاهرة حياتى الشخصية التى تجعل من هذه الحياة حياة وحيدة، وبهذا أصبح مسئولاً عن موتى كما أنا مسئول عن حياتى.

I become responsible for my death as for my life.

(قارن: سارتر: «الوجود والعدم ...»، ص ٨٤٠).

(2) Steiner, G.: «M. Heidegger», S. 161.

(3) Badawi, A.: «Le Problème …», P. 89.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(جـ) بلوغ النهاية بوصفه حال وجود لا يقبل المناوبة :

يتساءل «سارتر» فى «الوجود والعدم» قائلاً:

«لكن هل الموت الذى يصيبنى هو موتى أنا ؟ أو لا من «العبث» تماماً أن يقال إن الموت هو الشئ الوحيد الذى لا يمكن أن ينوب غيرى عنى فيه .. لأنه إذا عُد الموت إمكانية نهائية وذاتية، وحدثاً لا يعنى غير ما هو لذاته، فمن الواضح أنه لا يمكن لأحد أن ينوب عنى فى الموت ... إذ لا يمكن أن ينوب عنى أحد فى الحب ... فإن أتفه أنواع الحب هو مثل الموت لا يمكن استبداله والإنابه فيه، وهو وحيد مفرد: إذ لا يمكن لأحد أن يحب نيابة عنى ...»[(١)].

بالجملة لا توجد فضيلة مشخصة خاصة بموتى أنا ـ بل بالعكس ـ هو لا يصير موتى إلا إذا وضعت نفسى فى منظور الذاتية، فذاتيتى، محدودة بالكوجيتو السابق على التأمل، هى التى تجعل من موتى أمراً ذاتياً لا يمكن الاستنابة فيه ... فى هذه الحالة لا يمكن للموت أن يتميز لأنه موت بوصفه موتى أنا، وتبعاً لذلك فإن تركيبه الجوهرى كموت لا يكفى لأن يجعل منه ذلك الحدث المشخص الذى يمكن انتظاره»[(¬)(٢)].

وفى المقابل أكد «هايدجر» أن «*الموجود الإنسانى يمكن أن ينوب عن الآخر، ويرتبط ذلك بإمكانياته فى الوجود - مع - الآخر فى العالم، والمعنى الدقيق لهذه الإنابة يرتبط بوجوده «فى» **in** وبالقرب **und bei** من الموجودات، وإهتمامها بها؛ ففى عالم إهتماماتنا اليومى الإنارة أو الكشف أمر ممكن، ويقوم عليها وجودنا - مع - الآخر. أما فى حال الموت، فما من أحد يمكنه أن ينوب عن الآخر فى موته*[(¬)(٣)]. *ويمكن للموجود الإنسانى أن يموت (من أجل) الآخر، ويعنى ذلك التضحية بالذات من أجل الآخر بمعنى الاهتمام بوجود الآخر - فى -*

---

(١) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ترجمة عبد الرحمن بدوى، ص: ٨٤٣.

(¬) **«... its essential structure as death is not sufficient to make of it that personalized and qualified event which one can wait for».**

Cp.: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness…», P. 535.

(٢) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٤٤.

(¬) **«Keiner kann dem anderen sein Sterben abnehmen - «No one can relieve the other of his own dying».**

(3) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 283.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العالم، ولا يدل ذلك على أن الآخر قد تخلص من قدره، والموت للآخر لا يعنى أن موت الآخر قد تم انتزاعه أو إلغاؤه؛ فكل موجود إنسانى يتحمل موته بوصفه كذلك، وبعبارة أدق، كل موجود إنسانى مادام موجوداً يتحمل عبء وجوده؛ الموت هو فى كل الأحوال، وفى زمان بعينه موتى الخاص، ويعبر عنى مادمت موجوداً(¬¬)(١) *.... إن موت الموجود الإنسانى الحقيقى لا يتم إلا من خلال تجربة وفاته الواقعية، والموت يحدد إمكانية خاصة للوجود موضوعها هو الوجود الخاص بفرد بعينه، وفى الموت يتضح أن الفردية والوجود الماهوى يكونان أنطولوجيا الموت، فالموت ليس حدثاً، وإنما ظاهرة تُدرك وجودياً*(٢).

يتضح لنا من النص السابق أنه لا يستطيع أى إنسان أن يحمل عبء موت الغير كما يقول بسكال (ت ١٦٦٢م): «*نحن نموت وحدنا*»، فالموت من حيث هو موت هو فى جوهره موتى أنا وحدى، أو هو فعل واقعى يحياه الموجود الإنسانى بمفرده، ويعنى ذلك أن الموت شخصى تماماً فى الوجود الماهوى؛ فيمكننى أن أصير كل (الناس) فى الحياة اليومية؛ أما فى حالة الموت فلا أكون سوى ذاتى(٣)؛ أى أن السمة الأنطولوجية للموت إنما تقوم على ما يتسم به الموجود الإنسانى من «خصوصية»(¬)؛ فالموت تركيب وجودى وظاهرة يتلقاها الإنسان بالفهم(٤)، وذلك لأنه إذا كان الهدف عند «هايدجر» هو اكتشاف معنى الوجود(¬¬)، وإذا كان الموجود الإنسانى بما هو كذلك لابد من أن يموت، فإن معنى وجوده يتأثر بإدراكه لمعنى عدم وجوده أو موته(٥). وعندما يؤكد «هايدجر» أن «الوجود - للموت» خاص بكل موجود إنسانى على حدة، فإنه يذكرنا بدعاء ريلكه الشهير عن موت الذات: «*ما من أحد ينتزع من الآخر موته*»(٦).

الموجود الإنسانى وحده هو الذى يموت، لأنه وحده يهتم بأعلى إمكانيات وجوده وأخصها، وهى إمكانية استحالته وانتهائه، وهنا يستحيل أن ينوب عنه أحد كما يحدث فى

(¬¬) «Der Tod ist jeweilig der Meine, d. h. er gehört zu mir sofern ich bin».
(1) Heidegger, M.: «Prolegomena …», P. 429.
(2) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 284 - 291.
(3) Jolivet, R.: «Le Problème …», P. 22 - 24.
(¬) Jemeinigkeit - Mineness.
(4) Sternberger, A.: «Der Verstandene Tod. Eine Untersuchung zu M. Heideggers Existenzial Ontologie, Verlag von Hirzel in Leipzig, 1934, S. 30.
(¬¬) Sinn von Sein - Meaning of Being.
(5) Gelven, M.: «A Commentary …», P. 143.
(6) Steiner, G.: «M. Heidegger…», S. 160.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسلوب حياتنا اليومية مع الآخرين[١].

هذا، وينقد «سارتر» «هايدجر» فى تأكيده بأن الموت هو الشئ الوحيد الذى لا يمكن لآخر أن يؤديه بدلاً منى - بإضفاء فردية لا نظير لها على الموت - ويجعله «موتى أنا»، ثم يضفى الطابع الفردى على الوجود الإنسانى ذاته. يرى «سارتر» أنه ليس بوسعى أن أتحدث عن موتى إلا بعد أن أضع نفسى بالفعل فى منظور الذاتية؛ فذاتيتى هى التى تجعل موتى كذلك؛ أى تجعله موتاً متعلقاً بى[٢].

يقول «سارتر» فى نقده:

> ***«هايدجر يبدأ بتقرير موت كل واحد منا، مشيراً إلى أنه موت شخص أو موت فرد و«أنه الشئ الوحيد الذى لا يمكن أن ينوب غيرى عنى فيه»، ثم يستخدم هذه الفردانية المنقطعة النظير التى يعزوها إلى الموت إبتداءً من الموجود الإنسانى من أجل أن يحقق السمة الفردية لهذا الموجود، لكن فى هذا دوراً: إذ كيف إثبات أن للموت هذه الفردية، وأن له القدرة على منحها؟»***[٣].

ومن الواضح أن مقصد «هايدجر» لا أن يؤكد أن الموت بما هو كذلك يحقق الفردية، وإنما أن الوعى بالذات هو الذى يحقق تلك الفردية، وهو عندما يتحدث عن الفردية فى هذا الصدد، لا يعنى تلك التى تخص كل منا عن طريق الضرورة الأنطولوجية؛ وإنما فردية الإنسان الذى انتزع نفسه من خلال الوعى بالموت بعيداً عن إبتذال الحياة اليومية هارباً من عالم «الناس» إلى عالم «الوعى - بالذات» أو الوجود الحقيقى[٤].

---

(١) مارتن هايدجر: «نداء الحقيقة»، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الغفار مكاوى، ص: ٨٤.

(٢) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٥٨.

(٣) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٤٢ - ٨٤٣.

(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P, 534).

(4) Olson, Robert G.: «An Introduction to Existentialism», Dover Publications Inc., New York, U.S.A., 1962, P. 202.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعقيـــب :

نحاول فى هذا التعقيب الإجابة عن السؤال الرئيسى فى هذا المبحث: «إلى أى مدى إختلف كل من «سارتر» و «هايدجر» فى تفسير التركيب الأساسى للموجود الإنسانى ؟».

تبين لنا مما سبق أن كل من «سارتر» و «هايدجر» أنطولـــوجى فـــى عمـــق فـــى تطلعهما إلى إقامة «علم وجود»؛ أما «سارتر» فيبدأ من الحرية الإنسانية، ثم ينتهى إلـــى مشكلة الوجود والعدم، وأما «هايدجر» فيدور بحثه الأساسى حول معنى الوجود بما هـــو كذلك.

ولما كان الموجود الإنسانى يحيا فى الصراع القائم بين الوقائعية والإمكانية فإلى أى حد جاء تفسير كل من الفيلسوفين معبراً عن الوقائعية من ناحية، والإمكانية مـــن ناحيـــة أخرى؟

أولاً- فيما يتعلق بتفسير سارتر وهايدجر للموجود الإنسانى بوصفه «ما ليس - بعـــد»، فقد ترتب عليه ما يلى من نتائج:

١- الحياة الإنسانية عند سارتر تقرر معناها هى نفسها لأنها دائماً فى تأجيل: «ما لـــيس بعد»، أو هى إشتياق بلا جدوى؛ بينما «الحياة الميتة» لا تكف عن التغير، ومع ذلك فهى قد صُنعت أى قُضى الأمر بالنسبة إليها، بمعنى أنها مغلقة تماماً لكن معناها لا يكف أبداً عن التغير من الخارج.

٢- يرى هايدجر - فى المقابل - أن «مشكلة الموت» ترتبط بسؤال آخر: كيف يمكـــن للمرء أن يدرك وجود الموجود الإنسانى ككل؟ ويجيب بأن ذلك الإدراك يـــتم مـــن خلال عنصر أساسى داخل فى تكوينه هو «ما ليس - بعد»، أى أن إمكانياته جميعاً لم تتحقق بعد، وما أن يموت فإنه لم يعد هناك. والموجود الإنـــسانى لا يمكـــن أن يلحق بنفسه وفقاً لطبيعته؛ إنه فرار مستمر صوب إمكانياته، وصوب ممكن ليس شيئاً آخر غير نفسه.

إذن الموت يعبر عند «هايدجر» - كما هى الحال عند «سارتر» - عما «لـــيس - بعد» سيكونه الموجود الإنسانى، ويرتبط به ما بقى حياً، وهو نوع من الافتقاد الدائم الـــذى يجعله يسعى نحو تحقيق إمكاناته عند هايدجر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلا أن الموت عند «هايدجر» - بخلاف الأمر عند «سارتر» - يكوّن كلية الموجود الإنسانى منذ البداية، وعلى أساس هذه البنية الكلية أصبح للموجود الإنسانى إنبثاقات زمانية خاصة به، وطرق ممكنة للوجود.

ثانياً: فيما يتعلق بتفسير سارتر وهايدجر للموت بوصفه حداً نهائياً للحياة الإنسانية، فقد اختلف الفيلسوفان فى هذا الصدد إختلافاً واضحاً، كما يلى:

١- ذهب «سارتر» إلى أنه لا يمكن أن نَعتبر الموت حداً نهائياً للحياة الإنسانية، لأن إستعارة الحدود خاطئة، فلا معنى للموت سواء نظرنا إليه من الخارج أم من الداخل.

كما ذهب إلى أن الخطأ فى هذه النظرة يرجع إلى الافتراض القائل بأنه بقدر ما نوجه أنفسنا نحو هذه اللحظة الأخيرة، وبقدر ما نستعد لها، تتحول هذه اللحظة إلى قرار عميق لمعنى حياتنا، ويعقب «سارتر» بأن هذا الافتراض يتغافل أن الموت يأتى عندما يشاء لا عندما نريد.

٢- خالف «هايدجر» سارتر عندما ذهب إلى أن الموت يحمل معنى «الانتهاء» و «الانتهاء» يحمل معنى «الاكتمال»، والاكتمال هنا إنهيار وانحطام لا يمت للكمال بصلة: فنحن نموت ناقصين كما أننا نموت وحدنا.

إن الموت عند «هايدجر» هو أعظم المعطيات كلها صلابة فى الوجود البشرى، على عكس ما يرى «سارتر»، ولا يمكن إلغاء الموت عند «هايدجر»، لأن الحياة الإنسانية التى «لا نهاية لها» سوف تكون شيئاً مخيفاً؛ فالموت جزء من الوضع الوقائعى لذلك الموجود، فضلاً عن أن الموجود الإنسانى يمكن أن يدرك بنيته الكلية عندما لا يعود موجوداً - هناك.

إن الموت - عند «هايدجر» - على عكس ما يرى «سارتر» - ليس توقفاً للوجود؛ وإنما طريقة للوجود ما دام الإنسان وجوداً - فى - العالم، وتؤثر فيه منذ أن يوجد، والحياة ليست سوى أن نحيا موتنا؛ أى أن الموجود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنسانى وبمعنى أنطولوجى هو الوجود - للنهاية، والصورة الكاملة لمعنى وجوده يمكن إدراكها فقط عندما يجرب كل الممكنات وكل طرق الوجود، ولا يتم ذلك إلا بالموت.

٣- الموت بأوسع معانيه الأنطولوجية عند «هايدجر» ظاهرة للحياة - وليس نفياً لمعنى «الحياة» كما هى الحال عند «سارتر» - ومشكلة الموت الحقيقية هى مشكلة الواقع الإنسانى فى هذا العالم، وليس الموت بلا معنى سواء نظرنا إليه من الخارج أم من الداخل كما يرى «سارتر».

ثالثا- فيما يتعلق بتفسير سارتر وهايدجر للموت بوصفه حال وجود لا يقبل المناوبة، فقد اختلفا فى هذا الصدد كما يلى:

١ - إعترض «سارتر» على أن الموت هو الشئ الوحيد الذى لا يمكن أن ينوب غيرى عنى فيه؛ فلا يمكن أن ينوب عنى أحد فى الحب، وأتفه أنواع الحب مثل الموت لا يمكن استبداله والإنابه فيه؛ فالتركيب الجوهرى للموت لا يكفى لأن يجعل منه ذلك الحدث «المشخص» الذى يمكن انتظاره.

٢ - أما «هايدجر» فقد ذهب فى المقابل إلى أن الموت فى كل الأحوال، وفى زمان بعينه موتى الخاص، ويعبر عنى مادمت موجوداً، وفى الموت يتضح أن الفردية والوجود الماهوى يكونان أنطولوجيا الموت، فالموت ليس «حدثاً» - كما يرى سارتر - وإنما «ظاهرة» تُدرك وجودياً.

إن الموت عند «هايدجر» - فى مقابل ما يراه «سارتر» - شخصى تماماً فى الوجود الماهوى، فيمكننى أن أصير كل «الناس» فى الحياة اليومية؛ أما فى حالة الموت فلا أكون سوى ذاتى؛ ذلك أن السمة الأنطولوجية للموت تقوم على ما يتسم به الموجود الإنسانى من خصوصية؛ فالموت تركيب وجودى وظاهرة يتلقاها الموجود الإنسانى بالفهم للكشف عن معنى الوجود.

ويؤكد «هايدجر» أن الموجود الإنسانى وحده الذى يموت لأنه وحده الذى يهتم بأعلى إمكانيات وجوده وأخصها، وهى إمكانية استحالة انتهائه، وهنا يستحيل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن ينوب عنه أحد كما يحدث فى أسلوب حياتنا اليومية مع الآخـــرين، وفـــى ذلـــك اعتراض على ما رآه «سارتر» من مماثلة بين الحب والموت.

إن الفردية التى يتحدث عنها «هايدجر» هى فردية الإنسان الذى انتزع نفـــسه من خلال الوعى بالموت بعيداً عن ابتذال الحياة اليومية هارباً من عالم الناس إلـــى عالم الوعى بالذات أو الوجود الحقيقى، وظاهر للعيان أن «سارتر» لم يهتم بالتمييز بين الوجود الزائف للإنسان والوجود الحقيقى[¬] كما فعل «هايدجر».

(¬) **Eigentlichkeit - Uneigentlichkeit, Authenticity & Unauthenticity.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثانى

الموت بين الوقائعية والإمكان

(أ) الموت بين العبث واليقين

(ب) الطابع اللامعقول للانتحار

(جـ) إمكانية الموت وموت الإمكانية
١ ـ الموت إعدام لإمكانياتى
٢ ـ الإنسان فان حر
٣ ـ الحرية والموت

(د) «الوجود ـ للموت» بوصفه إمكانية

تعقيـــب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموت بين الإمكان والوقائعية

(أ) الموت بين العبث(¬) واليقين:

يقول «سارتر» فى «الوجود والعدم» :

«ما ينبغى ملاحظته أولاً هو الطابع اللامعقول للموت، وبهذا المعنى، فإن كل محاولة للنظر إليه كانسجام ختامى عند نهاية لحن ينبغى استبعادها بشدة ونبذها[1] ... إننا لا نستطيع حتى أن نقول إن الموت يمنح الحياة من الخارج معنى: إذ المعنى لا يمكن أن يأتى إلا من الذاتية نفسها، فما دام الموت لا يظهر على أرضية حريتنا، فإنه لا يمكن إلا أن ينتزع من الحياة كل معنى[¬¬] ... الموت ليس أبداً ما يعطى للحياة معناها، إنه، على العكس، ما يسلبها من حيث المبدأ كل معنى[¬¬¬]. فإذا كان علينا أن نموت، فحياتنا لا معنى لها، لأن مشاكلها لا تتلقى أى حل، ولأن معنى المشاكل نفسه يبقى غير محدد»[2].

يرى «سارتر» تفسيراً منه للطابع اللامعقول للموت أن التركيب الأنطولوجى للوعى هو الملاشاة والشروع، ولكى يشرع الوعى نحو غاية فى المستقبل، ينبغى أن يلاشى ما هو كائن ويتجاوزه، وهذا يعنى بالتالى أن يصبح ما هو كائن ما قد كان، أى يصبح ماضياً؛ فالماضى موقف لابد منه لاختيار المستقبل، باعتبار أنه ما ينبغى تغييره، وباعتبار أنه لا يصبح ماضياً إلا بمقتضى مشروع الوعى، ولذلك فإن قيمة الماضى ودلالته تتوقف على المستقبل وما يشرع الوعى نحوه من غايات. فالماضى لا يقرر المستقبل وإنما تتقرر قيمته

(¬) The absurd character of death.

(١) جان بول سارتر: «الوجود والعدم ...»، ص: ٨٤١.

(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness, P. 533).

(¬¬) «Since death doesn't appear on the foundation of our freedom, it can only remove all meaning from life.

(¬¬¬)«Death is … that which on principle Removes all meaning from life»

(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness, P. 539).

(٢) المرجع نفسه، ص: ٨٥١ - ٨٥٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بناءً على إختيارات الوعى، وعلى غاياته، فيحوله إلى دوافع مختلفة بحسب إختياره للمستقبل، إن الإنسان الذى لم يمت بعد؛ أى الذى هو وجود - لأجل ذاته قوامه الانفصال والشروع الدائمين، ومجالات الاختيار تظل فسيحة أمامه، ويظل حراً لتغيير الماضى، ولأن يضفى عليه ما يختار من معان ودلالات. ومن هنا فليس الماضى موقفاً يحد من مجال الحرية؛ وإنما هو بالعكس موقف يكشف عن هذا المجال لأنه يكتسب قيمته ومعناه من الحرية، ولأنه شرط لازم للحرية[١].

يتضح لنا بنفس المنهج السابق فى تحليل الماضى أن الموت موقف عارض لا يحد من حرية الوعى، ولما كان التركيب الأنطولوجى للوعى هو أن لا يكون ما يكونه وأن يكون ما لا يكونه؛ أى أنه يعنى أن أكون دائماً فى حالة ملاشاة للحاضر وشروع مستمر نحو المستقبل، فالموت إذن هو نهاية لكل مشروع ولكل مستقبل، ولا يخص التركيب الأنطولوجى للوعى. وإذا كان الموت عند «سارتر» ملاشاة لجميع إمكانيات الوعى، فهو بذلك شئ سلبى منتفى المعنى؛ ولكن الوعى ليس إلا ملاشاة مستمرة لذاته، فالموت - إذن - هو ملاشاة للملاشاة؛ أى أنه نفى للنفى، أى إيجاب، وللموت بهذا الاعتبار ناحية إيجابية، ودراسة هذه الناحية تبين لنا كما فى الناحية السلبية - أن الموت واقع عارض منتفى المعنى، وأنه لا يخص التركيب الأنطولوجى للوعى، أى لا يخص الوعى من حيث أن الوعى وجود؛ فالوعى كوجود فى حالة تأجيل[¬] مستمر، وأن هذا التأجيل هو الذى يتيح للحياة أن تقرر معناها الخاص، والموجود الإنسانى الذى يتوقف عن الحياة يتوقف عن الملاشاة والشروع[٢].

إذن ليس الموت غير مظهر معين للواقع العارض، وللوجود - من أجل - الآخر، أى لا شئ غير كونه معطى[¬ ¬]، ولكنه معطى خارج عن الوعى، وإلا أصبحت حريتى عاجزة إزاءه؛ فهو شئ خارج عن الوعى؛ أو هو شئ خارج حتى عن محاولة الوعى تحقيقه، أو أنه حد للذات لا يمكن لمسه[٣].

---

(١) حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، منشأة المعارف، الإسكندرية، ب.ت، ص: ٢٣٠.

(¬) **sursis.**

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٣٠ - ٢٣٢.

(¬ ¬) **donné.**

(٣) المرجع نفسه، ص: ٢٣٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرى «سارتر» أنه ما دامت كل المعانى الخاصة بحياة الذات لا تأتى إلا من الذات نفسها بمقتضى حريتها - فإن الموت لا يضفى على الحياة من الخارج أى معنى، بل بالعكس، كل ما يمكنه أن يفعله هو أن ينزع عن الحياة كل معنى؛ لأنه يضع النهاية لكل نشاط له معنى - إنه يعدم الذات ويلاشيها؛ فتصبح بكل ما لديها من مشروعات وإمكانيات منتفية المعنى[١].

يتضح مما سبق أن «سارتر» لا يرى فى الموت إلا هذا الذى كان؛ فلا يمكن للموت أن يكون بأى معنى من المعانى قائم فى مستقبلنا، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نختاره، ومن ثم فإن الوعى الذى هو اشتياق للموت (الماضى) مقضى عليه بالفشل فى اشتياقه، فإذا حصل على ما يريد، لم يكن من الممكن له أن يكون ما هو[٢].

الموت - عند «سارتر» - حدث من أحداث الحياة، وباعتباره كذلك فإن المستقبل وحده هو الذى يمكن أن يمنحه معنى؛ ولكنه لكونه عملاً من أعمال الحياة، فإنه يرفض هذا المستقبل، وبالتالى يظل بغير تحديد تماماً[٣]، ولا يمكن أن يقع له أى شئ من الداخل؛ فالموت واقعة مغلقة تماماً، ولا شئ يمكن أن يلجها بعد الآن؛ لكن معناها لا يكف عن أن يُعدل، وإن كان هذا التعديل من الخارج ... وليس الموت بحال بنية أنطولوجية لوجودى - كما سبق بيانه - على الأقل ليس بقدر ما هو «من أجل ذاته»، فهو «الآخر» الذى هو فان فى وجوده، ولا موضع للموت فى الوجود من أجل ذاته، فهذا الأخير لا يستطيع أن يجعله الموت فعالاً، ولا أن يوجه ذاته نحوه؛ فهو ليس بحال أساس تناهيه؛ فالموت لا يعدو أن يكون مظهراً للوجود من أجل الآخر، وليس سوى «ما هو معطى»[٤].

ويمكن القول بأن العلاقة بين الوعى بالموت والفردية عند «سارتر» غير مباشرة، فالاختيار الأخلاقى الحقيقى عند «سارتر» هو العلة المباشرة، للفردية، والوعى بالموت يعلى من شأن الفردية فقط بمقدار ما تعيننا على الاختيار بغض النظر عن القيم الزائفة، وحتى فى حال الاختيار، فلن يضفى الموت المعنى على حياتنا، لأنه فى الواقع يحرمنا من

---

(١) حبيب الشارونى: «بين برجسون وسارتر، أزمة الحرية»، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣، ص: ١٥١ - ١٥٢.
(٢) جيمس كارس: «الموت والوجود ...»، ص ٤٩٥ - ٤٩٦.
(٣) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص ٢٦٠.
(٤) نفس المرجع الأخير، ص: ٢٦٢ - ٢٦٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد المستقبل، كما ينزع من ماضينا وحاضرنا كل معنى[١][(¬)].

وفى المقابل نجد أن «الوعى بالموت» عند «هايدجر» يؤدى إلى الفردية مباشرة بانتزاعنا من إبتذال الحياة اليومية المتوسطة، وبإعدادنا للوجود من أجل الموت كما سيأتى بيانه تفصيلاً[٢]. ويبدو أن البون شاسع بين «سارتر» و«هايدجر» فيما يتعلق بفكرة «الموت»؛ فعند «هايدجر» ليس من شأن التفكير فى الموت أن ينتزع الموجود الإنسانى من تفاهات الحياة اللاشخصية المبتذلة فحسب، وإنما يعينه أيضاً على تفهم حقيقة وجوده باعتباره وجوداً - من أجل الموت[٣]، إن يقين الموت - وليس طابعه اللامعقول - عند «هايدجر» مطلق، وغير محدد، وأشد أصاله من يقين الكوجيتو الديكارتى؛ لأن موت الموجود الإنسانى هو اليقين الأساسى له[٤].

(ب) الطابع اللامعقول للإنتحار :

على الرغم من إختلاف «سارتر» و«هايدجر» فى تفسيرهما الأنطولوجى للموت إختلافاً بيِّناً، فقد إتفقا فى رأيهما حول الانتحار أو الموت الإرادى؛ فيرى «سارتر» «*أنه من العبث اللجوء إلى الانتحار إبتغاء الإفلات من هذه الضرورة؛ فالانتحار لا يمكن أن يُعد غاية للحياة أكون أنا أساسها. إنه لما كان فعلاً من أفعال حياتى، فإنه يتطلب هو نفسه معنى يستطيع المستقبل وحده أن يهبه إياه؛ لكن لما كان هو الفعل الأخير لحياتى، فإنه يرفض لنفسه هذا المستقبل، وهكذا يظل غير محدد تماماً، والحادث (أى الانتحار) نفسه ألا يستطيع أن يبين لى أن ثم حلولاً أخرى ممكنة؟ لكن لما كانت هذه الحلول لا يمكن أن تكون غير مشروعاتى أنا؛ فإنها لا يمكن أن تظهر إلا إذا كنت أحيا؛ فالانتحار أمر باطل لا معقول يلقى بحياتى فى هاوية*

---

(1) Olson, R. G.: «An Introduction …», P. 202 - 206.

(¬) البطل فى «قصة الجدار» لسارتر إذ يدرك على حين غرة أنه لا يرغب فى أن «يموت كحيوان»؛ بل أن يفهم، وحيث إنه بجلاء لا يستطيع أن يفهم، فإنه يرغب على الأقل فى أن يموت «على الوجه الصحيح وبطريقة سليمة»؛ غير أن قصة سارتر تمضى إلى إيضاح «عبث» الكمال؛ فالبطل إذ يؤثر الموت على خيانة صديق له، يخون هذا الصديق دونما قصد، ويجلب له الموت، ويظل هو على قيد الحياة.

(قارن: جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٦٩ - ٢٧٠).

(2) Ibid, P. 202.

(٣) زكريا إبراهيم: «دراسات فى الفلسفة المعاصرة»، ص: ٤٤١.

(٤) كاتبة السطور: «الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر»، ص: ٣٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اللامعقول»(¬)(١).

يرى «سارتر» أنه من العبث أن نلجأ إلى الانتحار باعتبار أنه نهاية للحياة تنبنى على أساس من حرية الوعى. وذلك لأن الانتحار بعد كل شئ فعل تقوم به الذات، وكل فعل يستمد معناه من المستقبل، فالمستقبل وحده هو الذى يضفى على الانتحار دلالته، ولكن الانتحار هو الفعل الأخير فى حياة الذات، فالمستقبل منعدم بالنسبة للذات المنتحرة، ومن ثمة فليس للانتحار أية دلالة، إن «الانتحار شئ منتفى المعنى يغرق حياتى فى انتفاء المعنى»، لأنه يمنع المستقبل، والمستقبل وحده هو الذى يضفى على حياتى ومشاريعى معناها(٢). وإذا لم أمت من جراء محاولتى الانتحار، فإننى قد أعتبره فيما بعد جبناً حيث إنه سيتضح لى أن هناك حلولاً أخرى كانت ممكنة كذلك؛ ولكن بما أن هذه الحلول لا يمكن إلا أن تكون مشروعاتى الخاصة، فإنه لا يمكن أن تُنفذ اللهم إلا إذا كنت أحيا، وهكذا فإن الانتحار «عبث» ويغرق الحياة فى «العبث»(٣).

و«هايدجر» بالمثل يرفض «الانتحار»؛ ويعلل ذلك بأنه صورة أخرى للفرار أمام الموت، والوجود الحقيقى موضوع دائماً أمام الموت باعتباره قريباً، ويذعن الموجود الإنسانى للموت، ويجعل نفسه حراً أمام الموت، وفى شعور العدم الذى يشمل وجوده كله(٤). و«هايدجر» بموقفه الرافض للانتحار؛ إنما يرجع إلى أنه عن طريق الانتحار ينتزع الموجود الإنسانى من ذاته أساس «وجوده - للموت» الذى دافع عنه «هايدجر» أحرَّ دفاع كما سيأتى بيانه.

(ج) إمكانية الموت وموت الإمكانية :

(١) الموت إعدم لإمكانياتى :

يقول «سارتر» فى الوجود والعدم :

«... لأن ما هو ـ لذاته هو الوجود الذى من أجله الوجود هو فى حالة تساؤل فى

(¬) **«Suicide is an absurdity which causes my life to be submerged in the absurd» (Cp: Sartre: «Being & Nothingness», P. 540).**

(١) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٥٢.

(٢) حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، ص: ٢٣١ - ٢٣٢.

(٣) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٦٠.

(٤) ريجيس جوليفيه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٠٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجوده، ولأن ما هو ـ لذاته هو الوجود الذى يطلب دائماً شيئاً بعد، فليس ثم مكان للموت فى الوجود الذى يكونه لذاته[1] *... إن مشروعى فى موت ما ... سيكون تحطيماً لكل المشروعات. وهكذا، الموت لا يمكن أن يكون إمكانيتى الخاصة، بل لا يمكن أن يكون إحدى إمكانياتى*[¬][2]*. الموت من حيث هو يمكن أن ينكشف لى، ليس فقط فى الإعدام الممكن دائماً لإمكانياتى ـ إعدام خارج إمكانياتى. وليس فقط فى المشروع الذى يقضى على كل المشروعات، ويقضى على نفسه بنفسه، والقضاء المستحيل على الانتظار: إنه «انتصار وجهة نظر الغير» على وجهة النظر التى هى أنا أى ذاتى، وهذا ما يقصده «مالرو» Malreaux حين يقول عن الموت فى قصة «الأمل»: «إنه يحول الحياة إلى مصير»»*[¬¬][3].

يتضح من النص السابق أن الموت عند «سارتر» لا يمكن أن يكون إمكانياتى الخاصة، ولا يمكن أن يكون واحداً من إمكانياتى، وبعبارة أخرى، لا يمكن أن أشرع نحو موتى باعتباره إحدى إمكانياتى أو إحدى مشاريعى لأن الموت يعنى الشروع فى إستحالة كل مشروع بما فى ذلك الشروع نحو الموت، فلا يمكن أن أتعقل شروعى نحو موتى أنا، لأن مثل هذا الشروع يكون تحطيماً لكل المشروعات[4].

كما يقول بهذا الصدد:

«... الموت ليس عقبة فى سبيل مشروعاتى؛ إنه فقط مصير إلى مكان آخر

---

(١) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٥٢.

(¬) **«Thus death can not be my peculiar possibility, it can not even be one of my possibilities».**

(2) Sartre, J. P.: «Being & Nothingness …», P. 540.

(¬¬) «Death transfers life into destiny».

(٣) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص ٨٥٣.

(٤) حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، ص: ٢٣٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لهذه المشروعات»(¬¬¬)[1].

ويعنى ذلك أن الموت ليس إمكانية لى كى أواصل تحقيق وجودى فى العالم؛ بل هو على الأصح نفى ممكن لكل ما هو ممكن لى، وما هو خارج عن كل ما هو ممكن لى؛ فالموت ليس شيئاً أستطيع أن أتعامل معه بحريتى، أو شئ أستطيع بحرية أن أصطرع معه، بل ولا حتى أن أقبله بحرية لأن هذا الذى يأتى دون إنذار فيحرمنى من حريتى ليس إمكانية بالنسبة لى؛ بل يقضى على كل ما هو ممكن لى؛ فطالما أن الموت لا يبدو فى الأساس من حريتى، فإنه يستطيع فقط أن ينزع كل معنى للحياة. و«سارتر» يستخدم الحرية هنا بوصفها نوعاً من الهرب إلى الأمام والموت من ورائها مطبق على أعقابها؛ فهو محاولة لاستبقاء «الحساب» مفتوحاً كى تتلاحق فيه إشارة «لم يقع بعد» تعقبها إشارة أخرى «لم يقع بعد»، ويلاحظ أن ما تلاشى فجأة هو أىّ معنى للوعى، وهو يستبق نفسه بحرية كما يحدث فى المشروع الأساسى؛ فالموت ليس شيئاً يمكن أن نتعامل معه عن طريق مشروعنا الأساسى، لأنه ليس شيئاً يمكن أن يقع عليه اختيارنا.

الموت - عند «سارتر» - ما هو إلا «المعطى» أو «الموجود - فى - ذاته»، ولا يَعقل لأنه يحرمنى إمكانياتى، وهذا الذى أقول عنه: «لم يقع بعد». فالأمر الذى له معنى إذن هو مجرد أن أكون حياً، وأن أتحرك دائماً للأمام إلى نهاية لا أستطيع أن أصل إليها[2].

إن مشروعى نحو موتى - وفقاً لما يراه «سارتر» - باعتباره إمكانية غير محددة لعدم تحقيقى للمزيد من الحضور فى العالم ليس قابلاً للفهم؛ حيث إن هذا المشروع سيكون تدميراً لكل المشروعات، وهكذا فإن الموت لا يمكن أن يكون إمكانياتى الصميمة؛ بل إنه لن يكون حتى واحداً من إمكانياتى، وإذا كان من العبث أن نولد، فمن العبث أيضاً أن نموت، وهذه العبثية تطرح ذاتها باعتبارها اغتراباً دائماً «للوجود كإمكانية» الذى لم يعد إمكانيتى؛ بل إمكانية «الآخر»؛ وليس الموت إمكانيتى بالمعنى المحدد أعلاه؛ وإنما هو موقفى الحدى باعتباره الجانب المقابل الذى أختير، والذى ينـد عن إختيارى؛ إنه -

---

(¬¬¬)«...Death is not an obstacle to my projects, it is only a destiny of these projects elsewhere».

(1) Cp., Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 547.

(٢) جيمس كارس: «الموت والوجود ...»، ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالأحرى - المشروع الذى لا يمكن تجنبه. لكن الموت لابد أن يُحمل على كاهل ذاتى لا باعتباره إمكانية، وإنما بحسبانه «الإمكانية المتبقية»، فهو آخر الممكنات بالنسبة لى، وتظل الحرية التى هى حريتى شاملة ومتناهية، لا لأن الموت لا يقيدها، وإنما لأنها تواجه هذا الحد؛ فالموت ليس بحال عقبة تقف فى طريق مشروعاتى، وإنما هو مجرد مصير يقع فى مجال آخر بالنسبة لهذه المشروعات[١] كما سبق ذكره.

إذن، يمكن القول إن الموت - كما يراه «سارتر» - هو مجرد حد خارجى أو «جدار» نواجهه فى أى وقت ونحن ماضون فى مشروعاتنا؛ ولكن لا يمكننا قط أن نشرع نحوه بحرية لأنه نهاية لكل مشروع، ولا يمكن أن يهب لحياتنا المعنى بوصفها كلاً؛ أما إذا وقع اختيارنا على الموت إنتحاراً أو استشهاداً، فإننا نستخدم الموت أداة لكى نحقق مشروعاتنا.

والموت أيضاً «ليس إمكانية قصوى»، ففى اللحظة التى يتحدد فيها حدوثه من الخارج - كما فى حالة الإنسان المحكوم عليه بالموت إعداماً، لن يكون الموت واحداً من مشروعاتنا بأى معنى، لأننا لم نقم باختياره[٢].

(٢) الإنسان ليس حراً لأن يموت، وإنما هو فان حر :

يقول «سارتر» فى نص هام له:

«*إنى لست حراً لأموت، ولكنى فان حر*»[(¬)(٣)].

ويعنى ذلك أنه ليس بوسعنا أن نفكر فى الموت أو ننتظره أو نسلح أنفسنا ضده، ولكن مشروعاتنا؛ بوصفها كذلك، مستقلة عنا[٤]، كما يعنى أننى أسير لحريتى، وأننى مقضى على أن أكون حراً، وهذا يعنى أنه ليس هناك حدود يمكن أن تقدم لحريتى إلا الحرية ذاتها أو إذا أردت، «*فنحن لسنا أحراراً لأن لا نكون أحراراً*»[٥]، وكما أن الوجود الإنسانى لا يمكن له أن يبلغ حدود حريته، فهو أيضاً لا يستطيع أن يكتشف فناءه، وكما

---

(١) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٦١ - ٢٦٤.

(2) Olson, R.: «An Introduction …», P. 203 - 206.

(¬) (I am not «free to die», but I am a free mortal).

(3) Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 547.

(٤) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٦٤.

(٥) جيمس كارس: «الموت والوجود ...»، ص: ٤٨٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أننى لست حراً لأن أتوقف عن أن أكون حراً، فكذلك أيضاً أنا «*لست حراً لأن أمـوت*»، وإن كان «سارتر» يضيف إلى هذه العبارة عبارة أخرى وهى قوله: «*أنا فان حر*» فهـى تعنى أن كل شئ بعد حين سوف يكون ماضياً، ولكن الماضى فـى حـدود تعريفـه لـه يستدعينى كشخص موجود، وبعبارة «سارتر»: «*مادام الموت يفر هارباً من مشروعى لأنه غير قابل للتحقيق، فأنا نفسى أيضاً أفر هارباً من الموت فى مشروعى نفسه، وحيث إن الموت هو دائماً وراء نطاق ذاتيتى، فلا مكان له إذن فى ذاتيتى، وبعبارة أخرى فأن أكون واعياً تعنى أن أكون فانياً*»[١].

وتعنى العبارة أيضاً أن بمقدور الإنسان أن يختار الماضى، ولكنـه لا يـستطيع أن يموت وفقاً لمشيئته، فضلاً عن أن للحرية طابعاً ينطوى على مفارقة؛ فليس هناك حرية إلا فى «موقف»، وليس هناك موقف إلا من خلال الحرية، والواقع الإنسانى يصطدم فى كـل مكان بعقبات لم يخلقها؛ لكن ضروب المقاومة والعقبات تلك لا معنى لها إلا مـن خـلال الاختيار الحر الذى هو الواقع الإنسانى، وهذا الاختيار يستلزم المسئولية، فالإنـسان فيمـا يرى «سارتر» «*محكوم عليه، بأن يكون حراً*» وباعتباره كذلك، فإنه يحمل علـى كاهلـه عبء العالم بأسره، أى أنه مسئول عن العالم باعتباره المبدع بـلا منـازع للأحـداث أو لموضوع ما[٢].

هذا، وينكر «سارتر» أن الوجودية فلسفة متشائمة بقوله إنها نـوع مـن «التفـاؤل القاسى»: فالفرد هو الذى يبدع القيم لأنه لا وجود لقيم قبلية فى الحياة، وقبل أن نحيـا لـم تكن الحياة شيئاً؛ فعلينا أن نضفى عليها المعنى الذى نراه، وليست القيم شـيئاً غيـر هـذا المعنى الذى نختاره، ونحن على هذا الاختيار مرغمون[٣].

(٣) الحرية والموت عند سارتر :

يمكننا فى هذا الصدد أن نتساءل عن طبيعة الصلة بين الموت - كما فـسره «سارتر» - والحرية باعتبارها ملاشاة الوعى لذاته، وشروعه نحو المستقبل ؟

يرى «سارتر» - كما سبق بيانه - أنه لا يوجد أى محل للموت فى الموجود

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٤٩٦.
(٢) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٦٦ - ٢٦٧.
(٣) فؤاد كامل: «فلاسفة وجوديون»، ص: ٨٤ - ٨٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- لأجل - ذاته؛ فهو لا يستطيع أن ينتظره أو يحققه أو يشرع عنه، ولا يمكن أن يجيء من الداخل كمشروع للحرية الأصلية، ولا أن يتلقى الوجود - لأجل ذاته من الخارج على أنه كيفية.

إذن ماذا يكون الموت فى رأى «سارتر» ؟

إنه مظهر معين للواقع العارض، وللوجود - لأجل الآخر، أى معطى خارج عن الوعى[١].

إن الحرية عند «سارتر» ليست هى الإمكان، وإنما الاختيار الحر القائم على الملاشاة والشروع المستمر للأنا؛ فحرية الأنا فى تجاوزه المستمر نحو المستقبل؛ أما الموت فهو ملاشاة لهذا التجاوز، وبالتالى ملاشاة للأنا ذاته: فالموت هنا لا يأتى من الذات، وليس هو من بين إمكانياتها، بل هو أمر خارجى ينتقل بالذات إلى اللاوجود، وبما أن الموت لا يأتى من الذات؛ أى أنه لا ينبنى على إمكانيات الذات، وبالتالى لا ينبنى على حريتها، وبما أن المعانى الخاصة بحياة الذات لا تأتى إلا من الذات نفسها بمقتضى حريتها، فإن الموت لا يضفى على الحياة من الخارج أى معنى؛ بل بالعكس، كل ما يمكن أن يفعله هو أن ينزع عن الحياة كل معنى، لأنه يضع النهاية لكل نشاط له معنى؛ إنه يعدم الذات ويلاشيها، فتصبح بكل ما لديها من مشاريع وإمكانيات منتفية المعنى[٢].

إذن، الموت هو حد غير قابل للإرادة، وخارج عن حريتى، ولا ألتقى به إطلاقاً على أنه قيد فوق هذه الحرية. إنه ليس عائقاً لحرية الوعى؛ فمشروعات الوعى تقوم مستقلة عنه: إنها تعنى التجاوز المستمر الحر نحو المستقبل، وهو يعنى لحظة الحياة التى ليس لنا أن نحياها أبداً[٣].

إن مجال الحرية عند سارتر يتسع بقدر ما للوعى من مشاريع، وبقدر ما يختار من غايات، والوعى يستطيع أن يختار دلالة ماضيه على آلاف الأنحاء؛ فهو

---

(١) حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، ص ٢٣٤.
(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٣١.
(٣) المرجع نفسه، ص: ٢٣٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستطيع أن يقبل ماضيه، أو أن يرفضه، ويستطيع أن يستمر فى تقليد ما أو يتحول عنه أو يستنكره، ويستطيع أن ينجز إلتزاماً معيناً أو يتخلى عنه، ويستطيع أن يقاوم ما به من ضعف أو يتجنبه أو يستغله، وهكذا يتصرف فى ماضيه بمحض حريته، فالماضى موقف يرجع إلى إختيار الوعى[١].

يرى «سارتر» أننى لست مرغماً على أن أكون ما حدده الماضى؛ بل فى الواقع فإن الماضى لا يستطيع أن يحدد شيئاً، فليس هناك مقدور محتم، ولا ضرورة تاريخية لا مهرب منها، وليس هناك تضحية بجيل من أجل جيل آخر ... إننا حتى أحرار فى السيطرة على عواطفنا وانفعالاتنا، فقد نختار حتى أن يُغمى علينا فى مواجهة خطر داهم.

وقد لا نستطيع أن نغير الماضى، ولكننا نستطيع أن نغير معناه ودلالته، وليس هناك نهاية لعدد التغييرات التى نستطيع أن نجريها على نتائج الماضى على المستقبل. هذه الحرية تعنى أن نواصل إحداث تغيير بعد آخر بدون توقف[٢]؛ فليس هناك موقف يمكن فيه للمعطيات أن تسحق بثقلها الحرية التى تقوم به بما هى كذلك، وليس هناك موقف يكون فيه الموجود لذاته أكثر حرية منه فى مواقف أخرى، وهذا يعنى أن ما أختاره هو المستقبل؛ فأنا أستطيع أن أُسقط الحاضر فى المستقبل فى صورة إمكانية هى بشكل محدد إمكانية لى، وبالقدر الذى أكون فيه قائماً بعمل، يكون لدى مشروع أساسى حتى وإن كنت على غير وعى مباشر به، فلا يمكن للغايات أن تُفرض علىَّ، ولا يمكن لأى شئ أن يصنع حريتى[٣].

هذا، ويطلق «سارتر» على محاولة الهروب من الحرية مصطلح «سوء الطوية» أو الإيمان الأعمى، وهو يستخدم مصطلح الإيمان هنا لأننى إذا أردت أن أكون ماهيتى، فعلى أن أؤمن بها إيماناً فعلياً، والإيمان الأعمى يقع عندما يتخلى الموجود لذاته عن ذاته، ويتخذ طريقاً للهرب فى الموجود فى ذاته، مما يعد سبيلاً

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٣٠.
(٢) جيمس كارس: «الموت والوجود ...»، ص: ٤٨٦ - ٤٨٧.
(٣) المرجع نفسه، ص: ٤٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لإخلاء الوعى من الديالكتيك الذى لا يتوقف، وعلينا أن نميز بين المفهوم الشائع عن الحرية (الذى يأتى نتاجاً للظروف السياسية والتاريخية) حيث الحرية تتحد مع «ملكة تحقيق الأهداف المختارة»، وبين المفهوم الفلسفى حيث تعنى الحرية استقلال الاختيار فحسب، وبهذا المعنى الأخير وحده يستخدم «سارتر» هذا الاصطلاح مما يقضى على العديد من ضروب سوء الفهم التى تدور حول عبارات سارتر[١].

وليس الإنسان هو ذلك الموجود الذى تُكشف من خلاله ضروب السلب فى العالم فحسب، وإنما هو ذلك الموجود الذى يستطيع إتخاذ مواقف سلبية نحو نفسه، وفى هذه الحالة، يُعد الفرد الحر هو «المطلق» على وجه التقريب، وبوسعنا القول إن الحرية تكتسب بالنسبة «لسارتر» كافة زخارف البديل الدينى[٢]؛ فحريتى هى الأساس الفريد للقيم، ولا شئ على الإطلاق يبرر إعتناقى لهذه القيمة أو تلك؛ فأنا الموجود الذى توجد بواسطته القيم، ولكننى - باعتبارى كذلك - لا أجد مبرراً أو عذراً لى؛ فأنا أساس القيم الذى لا أساس له، وهذا ما أعانيه فى القلق، وقلقى يشتد حين يدرك أن القيم لا يمكن أن توجد دون أن توضع موضع التساؤل؛ بيد أن الإنسان ينزع إلى الهرب من القلق الذى يفرض عليه هذه الضرورة الدائمة من اللحاق بما وراء ذاته، نحو مستقبل هو نفسه فى حالة هروب مستمر[٣]، علماً بأن «سارتر» يميز فى هذا الصدد بين نوعين من الوجود: «وجود - فى - ذاته لأجل الآخر»، و «الوجود - لأجل - الآخر»، وهذا الوجود الثانى لم يتوقف عن الحياة، ولا يزال حاصلاً على الحرية التى تمكنه من معاودة الصراع للانتصار على الآخر؛ أما الأول فقد أصبح بمقتضى الموت شيئاً - فى - ذاته بصفة نهائية[٤].

(د) الوجود - للموت بوصفه إمكانية :

مما سبق يتضح أن «سارتر» لا يسلم بأن الواقع الإنسانى «وجود - للموت»،

---

(١) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى، ص: ٢٦٦.
(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٦٩.
(٣) ريجيس جوليفيه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٥٧ - ١٥٨.
(٤) حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، ص: ٢٣٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالموت ينتسب إلى الحالة الإنسانية، بيد أن موتى لا يمكن أن يكون فـــى إمكانيـــاتى، ولا ينبغى أن ينتسب إلى التركيب الأنطولوجى للوجود - لذاته، وهو - كما سبق بيانه تفصيلاً - يحيل إلى الواقعة العرضية الصرفة لوجود الآخر والعالم، ولا يمكن أن يكون المـــوت حداً أو هدفاً أو نهاية على أى نحو كان[١]. ويبدو أن «سارتر» قد فاتـــه أن «الوجـــود - للموت» عند «هايدجر» إنما هو «وجود - للإمكانية»[٦]، وهى إمكانية تخص الموجـــود الإنسانى ذاته؛ أى أنها إمكانية لوجود الأنا؛ إذ أننى بالموت أواجه «الوجود - الممكن» فى كل لحظة، وهو ما سنبينه تفصيلاً فيما يلى.

يقول هايدجر:

«... الموت إمكانية للوجود على الموجود الإنسانى أن يضطلع بها فى كل الأحوال؛ فبالموت يواجه ذلك الموجود ذاته بإمكانياته الخاصة للوجود، وتلك الإمكانية ليست سوى وجود ـ الموجود الإنسانى ـ فى العالم ... الموت هو إمكانية الاستحالة المطلقة لذلك الموجود ... وعلينا أن نرعى هذه الإمكانية، وأن نتحملها كذلك ... وتقوم إمكانية الموت الوجودية على أن الموجود الإنسانى ينكشف لذاته بوصفه موجوداً مجاوزاً لذاته[٢] ... أنا أستطيع أن أوجد بمعنى مميز لأننى أستطيع أن أموت، وهذه الإمكانية هى إمكانية وجودى الذى أكونه على الدوام، لأننى أنا نفسى هذه الإمكانية المستمرة والنهائية لذاتى، والتى تعنى أننى لم أعد موجوداً[٣]».

---

(١) ريجيس جوليفيه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٠٣ - ١٠٤.

(٦) الإمكان هو إحدى مقولات كانط، ويقابل الوجود والضرورة، والقضايا التى يدخل فيها الإمكـــان تُـــسمى عنده بالقضايا الممكنة ويقابلها القضايا الضرورية، وهناك اختلاف بـــين الإمكـــان المنطقـــى والإمكـــان الوجودى: الأول هو كون الشئ خالياً من التناقض الداخلى وهو والمعقولية شئ واحد، والثـــانى يـــستلزم الإمكان المنطقى بالإضافة إلى شروط خارجية تنقل الشئ من حيز التصور إلى حيز الوجود الخارجى.
(أنظر: جميل صليبا: «المعجم الفلسفى»، مادة الإمكان، ج ١، دار الكتاب اللبنانى، ١٩٨٢، بيـــروت، ص: ١٣٥ - ١٣٦.

(2) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 294 - 305.
(3) Heidegger, M.: «Prolegomena …», S. 433.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والنص السابق يشير إلى الخلاف الواضح بين «هايدجر» و«سارتر» فى تفسيرهما الأنطولوجى للموت؛ فالموجود الإنسانى عند «هايدجر» بما هو كذلك وجود - للموت، وإذا لم يدرك ذلك لن يتحقق له إدراك نفسه، فضلاً عن أن التفسير الأنطولوجى لواقع ذلك الموجود باعتباره وجوداً - للموت هو وحده الذى يسمح له ببلوغ الوجود الحقيقى أو إنية الوجود الشخصى من حيث إن الموت هو دائماً بالضرورة «موتى الخاص»[١]. «فالموت» هو أخص إمكانيات الموجود الإنسانى، والوجود من أجله يجعل ذلك الموجود منفتحاً على أخص إمكانيات وجوده التى تتعلق به تعلقاً مطلقاً[٢].

ويعنى ذلك أن «الإمكانية» عند «هايدجر» لا تعنى المعنى المألوف أو المعنى المنطقى للكلمة؛ وإنما تعنى «بدائل الاختيار التى يختار من بينها الموجود الإنسانى؛ فهو فى كل الأحوال يدرك أنه كذا أو كذا، وبهذا الإدراك يعرف «ما يمكنه» أن يفعله.

والإمكانية عند «هايدجر» تشير إلى المستقبل المفتوح الذى يمكن أن يقرره الموجود الإنسانى، وإلى الإمكانية الحقيقية للوجود التى يمكن لذلك الموجود أن يختارها لذاته[٣].

ويمكن القول إن الإمكانية تشير إلى فعل أو أسلوب للحياة يتكيف معه الموجود الإنسانى أو يختاره، والبطولة والجبن مثالان للإمكانية بهذا المعنى.

وقد يُفهم من عبارة «الوجود - للموت» أنه «وجود - نحو - الإمكانية»، مما يعنى أننا نفكر فى الموت كإمكانية يمكن أن تتحقق بالطريقة التى نحقق بها رحلة ممكنة إلى باريس مثلاً، ولكن استخدام «هايدجر» لمصطلح «الإمكانية» يختلف عن ذلك[٤]؛ فالموت إمكانية لأنه لا يجعل الموجود الإنسانى متحققاً فى الواقع الفعلى؛ فإذا اعتبرنا الموت إمكانية، توقفنا عن تلوين الموت بلون الواقع الفعلى، وعلى ذلك فالغياب الكلى للخبرات والسلوك ليس هو ما يعنيه «هايدجر» باستخدامه الخاص لكلمة الإمكانية[٥].

ويبدو أن السبب فى إمكانية الموت عند «هايدجر» إنما هو «سبب أنطولوجى»:

---

(١) ريجيس جوليفييه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٠٢.

(٢) مارتن هايدجر: «نداء الحقيقة»، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الغفار مكاوى، ص: ٨٩.

(٣) ريجيس جوليفييه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٠٣.

(4) Edwards, P.: «Heidegger & Death as Possibility», in Mind, Vol. LXXXIV, 1975, P. 550.

(5) Ibid., P. 558 - 560.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجود هذا الموجود الذى يموت[١]؛ فالموجود الإنسانى هو الموجود الوحيد الذى يعرف أنه فان، وأن الموت يدخل فى صميم وجوده باعتباره أعلى ما لديه من إمكانيات؛ فهو الإمكانية الفريدة التى تحول وجودى الكائن هنا والآن إلى وجود ماض بحت[٢]، وهو جوهر الوجود: «فمنذ أن يولد الإنسان يكون بالفعل فى شيخوخة الموت»، وهو واقعة شخصية إلى أقصى حد يتضح فيها الشعور بالحرية وضوحاً بالغاً ينأى بالوجود الإنسانى عن التأثر بتقلبات الحظ وضربات القدر[٣].

يقول «هايدجر» فى تعريفه للمفهوم الأنطولوجى للموت:

«الموت ـ بوصفه نهاية للموجود الإنسانى ـ هو الإمكانية الخاصة به التى لا تربطها أى علاقة بغيره، وهو الإمكانية اليقينية غير المُعرّفة، ولا يمكن تخطيها ... وهذا التعريف يساعد على أن نستنتج نوعاً من وجود ذلك الموجود يكون فيه كلاً ... فالموت هو أشد إمكانيات الأنا خصوصية ... وفيه تنتزع الأنا نفسها عن الآخرين ... (إستناداً إلى أنه) الإمكانية القصوى لوجودها الماهوى»[٤].

يعنى ما سبق أن «الموت» عند «هايدجر» هو الإمكان الأعلى للموجود الإنسانى الذى تخضع له جميع الإمكانات الأخرى، ويختلف عنها جميعاً، فهو «عدم إمكان» أى موجود على الإطلاق؛ إنه آخر الممكنات جميعاً، وهو الإمكان الذى يجعل سائر الممكنات غير ممكنة[٥].

إن الإمكانية عند «هايدجر» أكثر أهمية من الواقع الفعلى، وإذا كان الموت واقعاً فعلياً فقط، فلن نتمكن من معرفة المعنى الخاص لموتنا، أى أن الفهم الحقيقى للموت يؤكد على أهمية إعتبار الموت إمكانية لوجودنا الخاص، وليس حدثاً واقعياً[٦]. وإذا كانت إمكانية الموت عند «هايدجر» هى الاستحالة الممكنة للوجود بوجه عام، فإن الأمر هنا لا يتعلق بيقين تجريبى نعبر عنه بقولنا «من المؤكد أن (ال) موت سيأتى»، وإنما يتعلق بضرورة

---

(1) Sternberger, A.: «Der Verstandene Tod …», S. 30.

(٢) زكريا إبراهيم: «دراسات فى الفلسفة المعاصرة»، ص: ٤٣٦ - ٤٣٧.

(٣) فؤاد كامل: «فلاسفة وجوديون»، ص: ٣٨.

(4) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 302 - 308.

(٥) جون ماكورى: «الوجودية ...»، ص: ٢٨٤.

(6) Gelven, M.: «A Commentary …», P. 152 - 154.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ميتافيزيقية هى أكثر الأشياء شخصية وأهمها بالنسبة للموجود الإنسانى؛ هى ضرورة «لا ضرورة» الوجود، والافتقار المطلق الذى هو صفة كل وجود إنسانى. إذن، إمكانية الموت تقوم على إستحالة الموجود الإنسانى التى هى الموت، ولا غنى لأحدهما عن الآخر[١]، وهى إمكانية لا تتطلب التحقيق كغيرها من الإمكانيات؛ إلا أنها تجعل من المستحيل تحقق أى إمكانية أخرى؛ أى أن الموت ليس إكتمالاً للإمكانيات وإنما هو انقطاع لها؛ إنه إستحالة كل إمكانية، ولقد عرّف «هايدجر» هذه الإستحالة الممكنة للموت بأنها عدم كامل[¬][٢].

وإذا كان الهم والموت مرتبطين، فذلك لأن الهم هو الوجود اليومى للموجود الإنسانى، وهو ظاهرة مركبة تنشأ من التوتر القائم بين إندفاع الإمكان فى المستقبل، ووقائعية الموقف الذى يُلقى فيه بالموجود، فضلاً عن سقوطه فى عالم الناس[٣]. فالموجود الإنسانى من حيث هو وجود - ملقى به - فى - العالم مُسّلم دائماً إلى موته، ومعنى أنه يموت دائماً وبالفعل فى كل لحظة تقع بين الميلاد والوفاة، أنه قد اختار بشكل ما نوع وجوده - للموت، وتهربه اليومى منه هو نفسه وجود زائف للموت؛ أما مواجهته للموت فيقوم على انفتاحه على نفسه فى صورة (الاستباق) وهو أحد العناصر المكونة للهم[٤].

الهم - إذن - يكشف عن السمة الأنطولوجية للوجود - الملقى - به - نحو - الموت بوصفه أقصى إمكانيات الموجود الإنسانى، وبوصفه إنفتاحاً له[٥]. أما عن قلق الموجود الإنسانى فى مواجهة الموت فيقول عنه «هايدجر»: « *... ففى القلق يجد الموجود الإنسانى ذاته وجهاً لوجه أمام الاستحالة الممكنة لوجوده الماهوى ... كما أن حرية ذلك الموجود - نحو - الموت هى حرية تخلصت من أوهام الذات الجمعية، وهى حرية واقعية موقنة من نفسها، كما أنها حرية قلقة ... وإذا كان القلق فى مواجهة الموت يختلف عن الخوف فى مواجهة الهلاك، فهو ليس انفعالاً اتفاقياً يعبر عن ضعف البعض، وإنما حالة أساسية للتأثر الوجدانى تتصاعد حتى تكشف عن حقيقة*

---

(1) Steiner, G.: «Martin Heidegger», S. 161.

(¬) Die schlechthinnige Nichtigkit, Total nothingness.

(2) Edwards, P.: «Heidegger on Death», P. 557.

(٣) جون ماكورى: «الوجودية»، ص: ٢٨٣ - ٢٨٥.

(٤) مارتن هايدجر: «نداء الحقيقة»، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الغفار مكاوى، ص: ٨٨ - ٩١.

(5) Magda, K.: «Heidegger's Philosophy - A Guide to His Basic Thought», Basil Blackwell, Oxford, The Macmillan Comp., New York, 1964.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجود *الإنسان* بوصفه وجوداً - *ملقى* - به - نحو - *نهايته*»[١].

يعنى ذلك أن المفهوم الأنطولوجى للموت يكشف عن تهديد مستمر ينشأ من أساس الوجود الإنسانى، وارتمائه فى ال «هناك» أو العالم، وأن هذا التهديد ينكشف فى التأثر الوجدانى الأساسى الخاص بالقلق، والفهم يتجه نحو هذا التهديد، ويكشف عنه بوصفه أقصى إمكانية تعبر عن عدم إمكان الوجود؛ لذا فالموجود الإنسانى لا ينفصل عن العدم الأساسى لوجوده، وهو العدم الذى ينكشف فى القلق، والعدم هو الذى يكشف عن إمكانيتىْ. الوجود، زائفاً أو حقيقياً أو عن إمكانيتىْ الفوز بالذات أو خسرانها[¬][٢].

الخلاصة أن التأثر الوجدانى الزائف الذى يكشف عن الموت هو «الخوف»؛ فى حين أن التأثر الوجدانى الحقيقى المعبر عن الموت يركز على إمكانية الموت من خلال «القلق»؛ أى أن التمييز بين الإدراك الحقيقى والزائف[¬] للموت قائم على التمييز بين الخوف والقلق؛ فالقلق لا يدرك قط موجوداً واقعياً، وإنما يوجه انتباهنا نحو الممكنات[٣]، ويكشف عن إمكانية تحقيق حرية الموجود الإنسانى التى تخلصت من وهم الآخرين، وهى - على حد تعبير «هايدجر» - حرية واقعية قلقة، واثقة من ذاتها، ويعنى ذلك أن الموت هو الشرط الجوهرى للحرية الإنسانية، وأن الزمان أو «لحظة المستقبل» على نحو خاص يصبح مدركاً فى ضوء حقيقة الوجود - للموت[٤].

ويمكن إجمال ما سبق بقولنا إن الموت عند هايدجر إمكانية قصوى تعبر عن صميم

---

(1) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 295 - 311.

(¬) Self - gain, Self - loss.

(2) Slaatte, H. A.: «The Philosophy of Martin Heidegger», Uni. Press of America, Inc., U.S.A., 1984, P. 23.

(¬) تأثر هايدجر فى وصفه للموت بمعناه الزائف برواية تولستوى (موت إيفان ايليتش) وفيها نجد أن (إيفان) الرجل البورجوازى يبذل جهد طاقته فى سبيل أن ينعم بحياة رغدة هنيئة، والسعادة فى نظره هى البعد عن الآلام؛ إلا أنه يصاب بين عشية وضحاها بمرض عضال تحير فيه الأطباء، ويصبح الموت بالنسبة له حقيقة لا جدال فيها، ويصاحب هذا الشعور - للمرة الأولى والأخيرة معرفة بالأنا الواقعية التى أخذت تنفض عن كاهلها زيف الرياء والنفاق الاجتماعى، وهنا يتساءل إيفان عن سر وجوده، ويتضح له هذا السر فى اللحظات الأخيرة من حياته ليعرف سراب حياته الماضية.

(قارن: فائق متى: «الاتجاهات الميتافيزيقية فى الأدب»، مجلة الفكر المعاصر، العدد الثامن، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة، أكتوبر ١٩٦٥، ص: ٥٦).

(3) Gelven, M.: «A Commentary ...», P. 153.

(4) Steiner, G.: «M. Heidegger», S. 163.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذات، ولا يمكن لأحد آخر أن ينوب عنى فى موتى، وحتى المحب أو الشهيد الذى نظن أنه قد يموت لنفس الأسباب وربما فى الوقت نفسه وبالطريقة نفسها، فإن ذلك لا يعنى أنه يموت موت الآخر، لأن الموجود الإنسانى المفرد وحده يمكنه أن يعرف ما معنى الموت، ويعبر «هايدجر» عن هذا المعنى بمصطلح «ما لا علاقة له بغيره»(¬)، ولا صلة لهذا المصطلح بالمنطق.

وإذا كان الموت «إمكانية» يتعذر إجتنابها، فالمصطلح المعبر عن ذلك هو ويعنى «ما لا يمكن تخطيه»(¬¬)(١). كما أن الموت هو أقصى إمكانيات الموجود الإنسانى(¬¬¬) بخلاف رأى «سارتر».

وننتهى من ذلك إلى أن «الوجود - للموت هو الوجود الملقى - به - دوماً - فى - إمكانية الوجود، وهو إمكانية الموجود الإنسانى القصوى والحقيقية، ولا علاقة لها بغيرها من الممكنات، كما أنها يقينية، غير محددة، ولا يمكن تخطيها»(¬¬¬¬).

وجدير بالذكر أن «الموت» يمكن أن يُفهم فى ضوء علاقته باللحظات الثلاث للهم وهى الوقائعية، والإمكان والسقوط.

فالإمكان يتجه إلى المستقبل، فى حين أن الوقائعية تهتم بما هو موجود بالفعل، فيكون الموجود الإنسانى منذ البداية الحياة فى موقف الفناء، وأما عن السقوط، فهو يظهر فى موقف ذلك الموجود اليومى تجاه الموت، ويتمثل فى الفرار من الموت واجتنابه.

ويؤكد «هايدجر» على أهمية الإمكان فى تفسيره الأنطولوجى للموت؛ إذ أنه عن طريق الإمكان يكشف الموجود الإنسانى عن مشروعه وحقيقة مصيره، وإدراك المصير هو الواقع الذى يجعلنى فى حضرة البنية الكلية لوجودى، ومن ثم يفتح إمكانية المشروع الحقيقى(٢).

(¬) Unbezüglich, Non relational.

(¬ ¬) Unüberholbar - Unoutstrippable.

(1) Gelven, M.: «A Commentary ...», P. 150.

(¬ ¬ ¬)Die Eigenste - The Uttermost.

(¬ ¬ ¬ ¬)«Der Tod als Ende des Daseins ist die eigenste; unbezügliche gewisse und als solche unbestimmte, unüberholbare Möglochkeit des Daseins».

(Cp: Heidegger, M.: «Being & Time», P. 307 - 310).

(2) Langan, T.: «The Meaning ...», P. 32.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ونحن إذا تناولنا العلاقة بين الإمكان والمستقبل عند «هايدجر»، فإنما يعنى ذلك محاولة تفسير العلاقة بين فكرتى الحرية والموت عنده. ويبدو أن هذه العلاقة تختلف إختلافاً بيِّناً عن مثيلتها عند «سارتر»؛ «فهايدجر» ينظر إلى الحرية على أنها الإمكانية، وإلى الموت على أنه إحدى إمكانيات الإنسان أو هو الإمكانية المطلقة - كما سبق بيانه - باعتبار أنه نهاية وغاية الإمكانات الإنسانية كلها، وبذلك تعتبر الحرية إمكاناً، ويرتبط الموت بها، بل ويصبح مجالاً لها. أما «سارتر» فليست الحرية عنده هى الإمكان، ولكنها الاختيار الحر والقائم على الملاشاة والشروع المستمر للأنا؛ فحرية الأنا هى فى تجاوزه المستمر نحو المستقبل؛ أما الموت فهو ملاشاة لهذا التجاوز، وبالتالى ملاشاة للأنا ذاته[١]؛ فالموت هنا لا يأتى من الذات، وليس هو من بين إمكانياتها؛ بل هو أمر خارجى ينتقل بالذات إلى اللاوجود. ومادام الموت لا يأتى من الذات، فإنه لا ينبنى على إمكانيات الذات، وبالتالى لا ينبنى على حريتها[٢].

يرى «سارتر» أن الأنا أسير حريته، وأنه مقضى عليه أن يكون حراً، وهذا يعنى أن ليس هناك حدود يمكن أن تقوم لحريتى إلا الحرية ذاتها، أى أننا لسنا أحراراً لأن لا نكون أحراراً.

أما عند «هايدجر» فماهية الموجود الإنسانى أنه ممتد فى الزمان عن طريق المشروع الحر الذى يتجاوز المكان والزمان معاً متجهاً نحو المستقبل الذى لم يأت بعد، وهذه الحرية ممكنة، لأن الموجود الإنسانى من بين جميع الموجودات المتناهية الذى يمكنه أن يدرك البنية الكلية لوجود ذاته، ولأن وجوده متناه، ومحدود، فإن مفتاح إدراكه لذاته يكمن فى إدراكه الحد الخارجى أو النهاية (الموت) التى تكشف عن حريته الخاصة[٣]، وبذلك يمكننا القول بأن تفكير «سارتر» فى الحرية، والنتائج التى ينتهى إليها لمن أكثر المواضع اختلافاً مع تفكير «هايدجر»[٤].

---

(١) حبيب الشارونى: «بين برجسون وسارتر ...»، ص: ٢٣١.
(٢) حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، ص: ١٥١.
(٣) كاتبة السطور: «الوجود الحقيقى ...»، ص: ٣٢٠.
(٤) جيمس كارس: «الموت والوجود»، ص: ٤٨٩ - ٤٩٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعقيـــب :

نحاول فى هذا التعقيب الإجابة عن السؤال الرئيسى الثانى فى هـذه الدراسـة: مـا المقصود «بموت الإمكانية»، و«إمكانية الموت» - إن جاز لنا القول - عنـد كـل مـن «سارتر» و«هايدجر» ؟. يمكن الإجابة عن هذا السؤال عن طريق مقارنة نتـائج موقـف الفيلسوفين من الموت من حيث طابعه اللامعقول أو طابعه اليقينى، وموقف كل منهما مـن الانتحار أو الموت الإرادى، وإيضاح معنى «موت الإمكانية» عنـد «سـارتر» ومعنـى «إمكانية الموت» عند «هايدجر»، فضلاً عن إبراز طبيعة العلاقة بين الحرية والموت عند كل منهما، وكذلك ما ترتب على مقولة «هايدجر» «الوجود - للموت» من نتائج.

(أ) فيما يتعلق بالطابع اللامعقول للموت أو بالموت بين العبث (سـارتر) أو اليقـين (هايدجر)، فقد تبين لنا الاختلاف الواضح بين كل منهما، «فسارتر» يقول بعبثيـة الموت بينما يرى هايدجر يقينه فيما يلى من نتائج:

١- الموت عند «سارتر» ليس ما يعطى للحياة معناها؛ إنه على العكس، ما يسلبها مـن حيث المبدأ كل معنى، فالموت واقع عارض منتفى المعنى، ولا يخـص التركيـب الأنطولوجى للوعى؛ أى لا يخص الوعى من حيث إن الـوعى وجـود، فـالوعى كوجود فى حالة تأجيل مستمر، وهذا التأجيل هو الذى يتيح للحياة أن تقرر معناهـا الخارجى، والموجود الإنسانى الذى يتوقف عن الحياة يتوقف كذلك عـن الملاشـاة والشروع؛ فالموت يعدم الذات ويلاشيها، فتصبح بكل ما لـديها مـن مـشروعات وإمكانيات منتفية المعنى.

الموت لا علاقة له بالمستقبل الذى يمكن أن يمنحه معنى، ويظل بغيـر تحديـد تماماً؛ فهو واقعة مغلقة تماماً، ولا شئ يمكن أن يلجها بعد الآن.

وحتى فى حال الاختيار، فلن يضفى الموت المعنى على حياتنا لأنه يحرمنـا من بعد المستقبل، كما ينزع من ماضينا وحاضرنا كل معنى.

٢- وفى المقابل يرى «هايدجر» أن «الوعى بالموت» يـؤدى إلـى الفرديـة مباشـرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بانتزاعنا من إبتذال الحياة اليومية المتوسطة، وبإعدادنا للوجود - من أجل المـــوت، وذلك عن طريق تفهم حقيقة الوجود الإنسانى. إن يقين الموت عنـــد «هايـــدجر» - وليس طابعه اللامعقول - مطلق، وغير محدد، وآصل من يقين الكوجيتو الديكارتى، لأن موت الموجود الإنسانى هو اليقين الأساسى له.

(ب) فيما يتعلق بالطابع اللامعقول للانتحار، فلقد اتفق كل من «سارتر» و «هايـــدجر» فى القول بعبثية الانتحار، واختلفا فى تفسير الأسباب المؤدية إلى هذا الرأى، مما يمكن إيجازه فيما يلى من نتائج :

١- إتفق «سارتر» مع «هايدجر» فى رأيهما حول الانتحار أو المـــوت الإرادى، فالانتحار عند «سارتر» أمر باطل لا معقول يلقى بحياتى فى هاوية العبـــث، وهو الفعل الأخير فى حياة الذات، فضلاً عن أن المستقبل منعدم بالنسبة للذات المنتحرة. إن الانتحار - وفقاً لرأى «سارتر» - يغرق حيـــاتى فـــى انتفـــاء المعنى لأنه يمنع المستقبل، والمستقبل وحده هو الذى يضفى علـــى حيـــاتى ومشاريعى معناها.

٢- رفض «هايدجر» أيضاً الانتحار، لأنه صورة أخرى للفرار أمام المـــوت؛ أما الوجود الحقيقى فيذعن للموت، ويجعل نفسه حراً فى مواجهته، وفـــى شعور العدم الذى يشمل وجوده كله. إن الانتحار - عنـــد «هايـــدجر» - ينتزع الموجود الإنسانى من ذاته أو أساس وجوده - للمـــوت؛ وإذا كـــان الموت يمد الحياة الإنسانية بمعناها الحقيقى، وإدراك البنية الكلية لوجودى، فإن الانتحار لا يغير شيئاً من المصير الإنسانى.

وجدير بالذكر أن «سارتر» و«هايدجر» يختلفان فى موقفهما من الانتحار عن كامى (ت. ١٩٦٠م) الذى رأى أن الإنسان قُدر عليه الشقاء بلا جدوى، فيلجأ إلـــى الفرار بالموت الإرادى أو بالتمرد على اللامعقول فى الحياة، وهذا التمرد هو الـــذى يضفى على الحياة قيمتها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ج) فيما يتعلق بالموت بين «الإمكانية» و «موت الإمكانية»، فقد تم تناول موقف «سارتر» المعبر عن «موت الإمكانية» - إن جاز لنا القول - من خلال ما يلى:

١ - الموت إعدام لإمكانياتى.

٢ - الحرية والموت، والوجود - للموت.

وقد إتضح أن الموت عند «سارتر» موت «للإمكانية» مما ترتب عليه ما يلى من نتائج:

١- الموت إعدام لإمكانياتى :

فالموت عند «سارتر» يعنى الشروع فى استحالة كل مشروع بما فى ذلك الشروع نحو الموت، لأن مثل هذا الشروع يكون تحطيماً لكل المشروعات.

الموت عند «سارتر» ليس شيئاً أستطيع أن أتعامل معه بحرية لأنه يأتى دون إنذار، ويحرمنى من حريتى، فهو ليس إمكانية بالنسبة لى؛ بل يقضى على كل ما هو ممكن لى، فضلاً عن أنه مجرد «معطى» أو «الموجود - فى - ذاته»، إنه بالأحرى المشروع الذى لا يمكن تجنبه أو هو آخر الممكنات بالنسبة لى، وهو ليس عقبة تقف فى طريق مشروعاتى، وإنما هو مجرد مصير يقع فى مجال آخر بالنسبة لهذه المشروعات.

إن الموت ليس إمكانية قصوى، وفى اللحظة التى يتحدد فيها حدوثه من الخارج، لن يكون واحداً من مشروعاتنا بأى معنى، لأننا لم نقم باختياره.

٢ - وفى المقابل فإن «الوجود - للموت» عند «هايدجر» إمكانية؛ بل الإمكانية القصوى للموجود الإنسانى، وهى إمكانية تخص الموجود الإنسانى ذاته، أى أنها إمكانية لوجود الأنا؛ إذ أننى بالموت أواجه «الوجود - الممكن» فى كل لحظة.

إن التفسير الأنطولوجى لواقع ذلك الموجود باعتباره «وجوداً - للموت»

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحده يسمح له ببلوغ الوجود الحقيقى من حيث إن الموت هو دائماً وبالضرورة «موتى الخاص»، فالموت هو أخص إمكانيات الموجود الإنسانى، والوجود من أجله يجعل ذلك الموجود منفتحاً على أخص إمكانيات وجوده.

٢ - **الحرية والموت، والوجود - للموت:**

إختلف «سارتر» و «هايدجر» حول تفسير علاقة الموت بالحرية، واتضح ذلك فيما يلى من نتائج:

١ - الموت عند «سارتر» موت للإمكانية، فالإنسان مقضى عليه أن يكون حراً؛ أى أنه ليس حراً فى ألا يكون حراً، وكذلك ليس حراً لأن يموت، وبمقدور الإنسان أن يختار الماضى بأن يغير من دلالته، ولكنه لا يستطيع أن يموت وفقاً لمشيئته.

إن الموت عند «سارتر» «موت للإمكانية» فى ضوء تناوله للعلاقة بين الحرية والموت: فالحرية عنده ليست هى الإمكان، وإنما الاختيار - الحر القائم على الملاشاة والشروع المستمر للأنا؛ أما الموت فهو ملاشاة لهذا التجاوز، وبالتالى ملاشاة للأنا ذاته، فالموت هنا لا يأتى من الذات، وليس هو من بين إمكانياتها، بل هو أمر خارجى ينتقل بالذات إلى اللاوجود؛ إنه يعدم الذات ويلاشيها بحيث تصبح بكل ما لديها من مشروعات وإمكانيات منتفية المعنى؛ فهو خارج عن حريتى، وهو ليس عائقاً لحرية الوعى، لأن مشروعات الوعى تقوم مستقلة عنه، إنها تعنى التجاوز المستمر الحر نحو المستقبل، والموت يعنى لحظة الحياة التى ليس لنا أن نحياها أبداً.

٢ - الإمكانية عند «هايدجر» هى «بدائل الاختيار» التى يختار من بينها الموجود الإنسانى، وهى تشير إلى المستقبل المفتوح الذى يمكن أن يقرره الموجود الإنسانى، وإلى الإمكانية الحقيقية للوجود التى يمكن لذلك الموجود أن يختارها لذاته.

والموت عند «هايدجر» إمكانية؛ لأنه لا يجعل الموجود الإنسانى متحققاً فى الواقع الفعلى؛ فالغياب الكلى للخبرات والسلوك ليس هو ما يعنيه «هايدجر» باستخدامه الخاص لكلمة الإمكانية، فضلاً عن أن السبب فى إمكانية الموت عند «هايدجر» سبب «أنطولوجى» وهو «وجود ذلك الموجود الذى يموت»؛ فالموجود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإنسانى هو الموجود الوحيد الذى يعرف أنه فان، وأن الموت يدخل فـى صـميم وجوده باعتباره أعلى ما لديه من إمكانيات؛ فهو الإمكانية الفريدة التىتحول وجودى هنا والآن إلى وجود ماضٍ بحت، وهو جوهر الوجود، وواقعة شخصية إلى أقصى حد يتضح فيها الشعور بالحرية وضوحاً بالغاً ينأى بالوجود الإنسانى عـن التـأثر بتقلبات الحظ.

كما أن الموت عند «هايدجر» هو الإمكانية الخاصة بالموجود الإنسانى التـى لا تربطها أى علاقة بغيره، وهو الإمكانية اليقينية غير المعرَّفة، ولا يمكن تخطيها، إنه أشد إمكانيات الأنا خصوصية، وفيه تنتزع الأنا نفسها عن الآخـرين بوصـفها الإمكانية القصوى لوجودها الماهوى، فضلاً عن أنه الإمكـان الأعلـى للموجـود الإنسانى الذى تخضع له جميع الإمكانات الأخرى، ويختلف عنها جميعاً، فهو عـدم إمكان أى موجود على الإطلاق، وهو آخر الممكنات جميعاً الـذى يجعـل سـائر الممكنات غير ممكنة.

٣ - الإمكانية عند «هايدجر» أكثر أهمية من الواقع الفعلى؛ ذلك أن الفهم الحقيقى للموت يؤكد على أهمية إعتبار الموت إمكانية لوجودنا الخاص، وليس حدثاً واقعياً، كما أن إمكانية الموت تتعلق بضرورة ميتافيزيقية هى ضـرورة «لا ضـرورة» الوجـود، والافتقار المطلق الذى هو صفة كل وجود إنسانى؛ فالموت ليس إكتمالاً للإمكانيات، وإنما هو انقطاع لها.

٤ - حرية ذلك «الموجود - نحو - الموت» عند «هايدجر» هى حرية تخلـصت مـن أوهام الذات الجمعية، وهى حرية واقعية موقنة من نفسها كما أنها حريـة «قلقـة»؛ ذلك أن التأثر الوجدانى الحقيقى المعبر عن الموت يركز على إمكانية المـوت مـن خلال «القلق»؛ فالقلق - وليس الخوف كما هى الحال فى التأثر الوجدانى الزائـف الذى يكشف عن الموت - هو الذى يكشف عن إمكانية تحقيـق حريـة الموجـود الإنسانى التى تخلصت من وهم الآخرين.

٥ - الموت - عند «هايدجر» - هو الشرط الجوهرى للحرية الإنسانية، والزمان (لحظة المستقبل على نحو خاص) يصبح مدركاً فى ضوء حقيقة «الوجود - للموت»، وعن طريق الإمكان يكشف الموجود الإنسانى عن مشروعه وحقيقة مصيره مما يجعلـه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى حضرة البنية الكلية لوجوده، ويحقق الانفتاح لإمكانية المشروع الحقيقى.

٦ - الحرية عند «سارتر» هى «الاختيار الحر» القائم على الملاشاة والشروع المستمر للأنا نحو المستقبل، أما الموت فهو ملاشاة للتجاوز وللأنا ذاته، أما الحرية عند «هايدجر» فهى «الإمكانية»، والموت هو الإمكانية المطلقة للإنسانية أو هو غاية الإمكانيات الإنسانية كلها، وبذلك ترتبط الحرية بالموت عند «هايدجر»، بل ويصبح مجالاً لها؛ بينما الموت عند «سارتر» لا يأتى من الذات ولا ينبنى على إمكانياتها، وبالتالى لا ينبنى على حريتها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الثالث

« الموجود الإنسانى بين موت الأنطولوجيا

وأنطولوجيا الموت »

(١) مفهوم التناهى بين الوقائعية والإمكانية:
أ ـ وقائعية التناهى عند سارتر
ب ـ إمكانية التناهى عند هايدجر

(٢) إنتظار الموت أو توقعه بين الوقائعية والإمكانية:
أ ـ الموت سلب لكل انتظار أو توقع عند سارتر
ب ـ توقع إمكانية الموت عند هايدجر

(٣) إمكانية الموت وموت الإمكانية:
أ ـ وقائعية الموت و «الوجود ـ للآخر» عند سارتر
ب ـ إمكانية الموت و «الوجود ـ للأنا» عند هايدجر

تعقيـــب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(١) مفهوم التناهى بين الوقائعية والإمكانية :

أ - وقائعية التناهى عند سارتر :

يقول «سارتر» :

«... ينبغى أن نفصل فصلاً تاماً بين ... الموت والتناهى(¬)؛ إذ يُعتقد عادة أن الموت هو الذى يحدث تناهينا، وهو الذى يكشفه لنا، ومن هذا الخلط ينشأ أن الموت يتخذ صورة الضرورة الأنطولوجية، وأن التناهى، على العكس، يستعيد من الموت طابع الإمكان العرضى، «فهايدجر» مثلاً يبدو بوجه خاص أنه بنى كل نظريته فى «الوجود ـ للموت» على الهوية الدقيقة بين الموت والتناهى ... لكن الموت واقعة ممكنة عرضية تتوقف على الوقائعية، والتناهى تركيب أنطولوجى لما هو ـ لذاته يحدد الحرية(¬¬)، بعبارة أخرى الموجود الإنسانى سيظل متناهياً حتى لو كان خالداً، لأنه يجعل نفسه متناهياً باختياره لنفسه ... فأن يكون (الإنسان) متناهياً هو أن يختار نفسه، أى أن يعلن عن نفسه مَنْ هو بإلقاء نفسه نحو ممكن، مع استبعاد الآخرين»(١).

يتضح من النص السابق أن جذور الاختلاف بين «سارتر» و«هايدجر»، إنما تدور حول تفسير معنى التناهى؛ «فسارتر» يصر على الفصل التام بين فكرة الموت وفكرة التناهى، وعادة ما يتم افتراض أن الموت هو الذى يشكل ويكشف لنا تناهينا، وهكذا فإن الموت يتخذ فكرة الضرورة الأنطولوجية(٢). فالموت حقيقة مشروطة تنبع من الوقائعية فى حين أن التناهى بنية أنطولوجية لما هو من أجل ذاته، والموت واقعة عرضية - كما سبق بيانه - فلا مجال إذن للربط بينه وبين التناهى «لأنه يقع دائماً

(¬) **finitude - Endlichkeit.**

(¬¬) **«...Finitude is an antological structure of the for - itself which determines freedom...»**

(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 546.

(١) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٦١ - ٨٦٢.

(٢) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيما وراء ذاتى».

ويبدو أن «سارتر» يعتقد بأنه حتى إذا كان الموت ممـــراً يفـــضى إلـــى مطلـــق لا إنسانى، فإنه لا يمكن أن يُعتبر نافذة تطل على المطلق؛ فالموت إنما يحدثنا عن أنفسنا فقط، بل إنه يقوم بذلك فى الإطار الإنسانى فحسب، فضلاً عن أن تفسير الموت بحسبانه النغمة الختامية فى لحن موسيقى ينبغى أن يُرفض، وعلينا بدلاً من ذلك أن ندرك عبث المـــوت، وحينما يكف الوجود - من أجل ذاته عن الحياة، فإن ماضيه لا يُلغى، وإنما تغدو حيـــاتى «ثابتة» بدلاً من أن تصبح كلاً متناسقاً؛ فمعناها يثبت للأبد من خلال «الشمول المفتـــوح» الذى هو الحياة التى تم توقفها.

إن الفارق بين الحياة والموت هو أن الحياة تقرر معناها لأنها دائماً فى «تعطـــل مؤقت»، وهى تمتلك القدرة على النقد الذاتى والتحول الذاتى اللذين يسمحان لها بـــأن تعرف بأنها «لم تتحقق بعد»، ولا تكف حياة الموتى كذلك عن التغير، ولكـــن الأمـــر «إنتهى» بالنسبة لها، ويعنى هذا أن السباق قد انتهى بالنسبة لها، وأنها ستتعرض لهذه التغيرات دون أن تكون مسئولة عنها بعد[١].

ومن ناحية أخرى يربط «سارتر» بين الحرية والتناهى؛ فأن يكون المرء متناهياً إنما يعنى بالنسبة «لسارتر» أن يكون ذاته، وأن يحدث نفسه بما هو عليه، وأن يوجه نفسه نحو ممكن فى ظل استبعاد إمكانيات أخرى، وهكذا فإن حدث التحرر ذاته هو افتراض وخلـــق للتناهى؛ فإذا كنت «أجعل» نفسى فإنى أجعلها متناهية، وبهذا تصبح حياتى فريـــدة، ومنـــذ هذه اللحظة فصاعداً، فإنه يحرم على - حتى وإن كنت خالداً - أن أستأنف أفعالى، وعدم قابلية الصفة الزمانية لأن تعكس هى التى تمنعنى من ذلك.

يتضح مما سبق أن «سارتر» يرى فى الاتحاد بين الموت والتناهى - كمـــا ذهـــب «هايدجر» - أمراً غير صحيح، فالموت حقيقة مشروطة تتبع من الوقائعية، والتناهى بنية أنطولوجية للموجود الحر أو لما هو من أجل ذاته[٢].

ب - إمكانية التناهى عند هايدجر :

وفى المقابل يقول «هايدجر» فى نص هام له:

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٢٥٧، ٢٦٢.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

«... التصور الفينومينولوجى للموجود الإنسانى والموت هو الافتراض المسبق للسؤال عن الخلود(¬) مهما كان معناه، وهذا التصور ما هو إلا توضيح لأسلوب وجود الموجود الإنسانى وجوداً ممكناً صميماً ... وعلى ذلك فالتعبير الملائم عن ذلك الموجود فى وجوده ينبغى أن يكون إننى كائن مائت(¬¬)، ولا يعنى ذلك أننى مائت مادمت مريضاً مرضاً خطيراً، وإنما يعنى: مادمت موجوداً فأنا أموت ... فالموت يضفى على الوجود معناه، والإمكانية الأخيرة المتمثلة فى الموت هى طريقة لوجود الموجود الإنسانى حيث يجد نفسه ببساطة ملقى به مرة أخرى، وحتى فى الموت يكون ذلك الموجود من حيث الماهية وجوداً ـ فى ـ العالم، ووجوداً ـ مع ـ الآخر، ولكن هذا التحول يتحول بصورة حقيقية ومباشرة إلى «أنا أوجد»(¬)(١).

ويعنى ما سبق أن «الوجود - للموت» عند «هايدجر» هو أهم ظاهرة يمكن أن تكشف عن الأساس الحقيقى والأنطولوجى للوجود الإنسانى(٢)؛ فالموت هو الحد النهائى لمشروعاتنا، وإذا تمكننا من رؤية أنفسنا من خلال هذا الحد النهائى، فإن معنى كل مشروع من مشروعاتنا سوف يصبح أكثر وضوحاً(٣). يقول «هايدجر» عن الصلة بين «الوجود - للموت» و «الوجود الحقيقى»: «... *الوجود الحقيقى للموت - إذن - يعبر عن إمكانية الوجود الحقيقى للموجود الإنسانى، وإدراك هذا الوجود فينومينولوجياً يتيح السؤال عن معنى وجود هذا الموجود الذى يعبر فهم الوجود عن وجوده بصفة عامة*»(٤).

ويشير ذلك النص إلى أن الموت بوصفه إمكاناً مطلقاً ونهائياً يثير مشكلة «تصور الوجود

(¬) **Unsterblichkeitsfrage.**

(¬ ¬) **Sum moribundus, I am in dying.**

والعبارة تقول:

«… Sofern ich bin, bin ich meribundus - in so far as I am, I am moribundus».

(¬) **«… Im Sterben kann ich gewissermassen absolut sagen (ich bin)».**

(1) Heidegger, M.: «Prolegomena …», S. 431 - 439.

(2) Gelven, M.: «A Commentary …», P. 141.

(3) Olson, R.: «An Introduction …», P. 204.

(4) Heidegger, M.: «Prolegomena …», S. 301.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البشرى ككل»، لأنه حد للوجود، وإدراك هذا الحد يمكن من التفكير فى وجود الموجود الإنسانى بوصفه كلاً متناهياً، لأنه يمد ذلك الموجود بالإطار الذى يستطيع أن يضع فى داخله شتى إمكانياته، إذن البحث عن الوجود الكلى للموجود الإنسانى يمكن إدراكه باعتباره الظاهرة الوجودية الحقيقية لذلك الموجود؛ ففى مشروع إستحالة الإنسان الممكنة (موته) يمكن للموجود الإنسانى أن يوجد وجوداً حقيقياً من أجل نهايته، والإنسان فى بنيته الكلية ليس إلا وجوداً - ملقى به - إلى الموت، ولا ينبغى أن ندرك هذه البنية الكلية فى حدود تناهى الموجود الإنسانى، وإنما ندرك التناهى من خلال وجود الإنسانى الكلى؛ فالتناهى معنى أنطولوجى أساسى، ويجب إدراكه من حيث هو كذلك(١).

ويلاحظ أن «العدم» الذى يُلقى فيه الموجود الإنسانى ليس عدماً خالصاً، إنه «الوجود» ذاته الذى ينكشف بوصفه كلاً فى عدم الوجود، فضلاً عن أن عدم العالم، وعدم الوجود الماهوى يكشفان عن الوجود، ويظهران العلو فى علاقته بالموجود، ويعنى ذلك أن موت الموجود الإنسانى أو تناهيه الأساسى يكشف وحده عن الوجود، لأن الوجود متعال، وهو الـ «هناك» المعبر عن تناهى الموجود الإنسانى(٢).

إن الوجود الحقيقى عند «هايدجر» هو قبول الموجود الإنسانى للموت، بحيث يمكنه أن يريد «الوجود - للموت»، ويتطلب ذلك العثور على الوجود الحقيقى فى حاضر ذلك الموجود؛ فإذا كان وجود الإنسان - فى - العالم زمانياً، فإنه لا يصل إلى ذاته ككل قط فى هذا العالم، وتواجهه باستمرار مهمة أن يكون نفسه، لأنه باستمرار موجود ناقص.

والموجود الإنسانى بهذا المعنى انفتاح، واكتماله لا يكون إلا بالموت، ومواجهة الموت هى «اللحظة» الحاسمة فى الوجود الحقيقى بوصفها الإمكانية الحاضرة التى تعلى من شأن الحاضر، وفرصتها الأكيدة كى تكون نفسها. إذن الوجود الحقيقى قبول حاضر لواقعة الموت، وعلى أساس هذا القبول يتم الكشف عن المستقبل من خلال الحاضر أو اللحظة(٣).

وإذا كان السؤال الخاص بما وراء الموت - فى رأى هايدجر - طريقة للهروب من مواجهة الموت - فى - هذا - العالم، لأنه لا مكان له من وجهة نظر تحليل الوجود - فى

---

(١) جون ماكورى: «الوجودية»، ص: ٢٨٥.

(2) Chapelle, A.: «L'Ontologie …», P. 106 - 117.

(3) Slaatle, H. A.: «The Philosophy of M. Heidegger», P. 18 - 24.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- العالم، فإن التحليل الفينومينولوجى للموت يهتم اهتماماً بالغاً بالسؤال الأساسى: سؤال الوجود(¬)(١).

الخلاصة أن «الوجود الحقيقى» «للموجود الإنسانى» عند هايدجر يتوقف على الإدراك الواضح لمعنى الوجود؛ حيث يتوفر لديه إدراك أنطولوجى لمعنى الوجود؛ فى حين أن الموجود الإنسانى الذى يحيا وجوداً زائفاً يُحجب عنه معنى الوجود بتأثير اللغو والسقوط والالتباس(٢)(¬¬).

(٢) انتظار الموت أو توقعه بين الوقائعية والإمكانية :

أ - الموت سلب لكل انتظار أو توقع عند سارتر :

يقول سارتر فى «الوجود والعدم»:

«... لا نستطيع إذن أن نفكر فى الموت، ولا أن ننتظره، ولا أن نتسلح ضده(٣). لا مكان للموت فى الوجود ـ لذاته؛ إنه لا يمكن أن ينتظره، ولا أن يحققه، ولا أن يلقى بنفسه نحوه، وليس الموت أساس تناهيه(¬)... وماذا عسى أن يكون معنى انتظار الموت إن لم يكن انتظار حادث غير معين يرد كل انتظار إلى اللامعقول بما فى ذلك إنتظار الموت نفسه ؟ وانتظار الموت يقضى على

(¬) **Seinsfrage - The question of Being.**

(١) ريجيس جوليفيه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٥.

(2) Gelven, M.: «A Commentary …», P. 144.

(¬¬) «اللغو» **Gerede - Idle talk** هو السمة الوجودية للكلام فى الوجود اليومى المتوسط للإنسان فى مقابل وجوده الحقيقى، وهو إنغلاق لباب المعرفة الحقيقية والتساؤل الحقيقى، وفقد الإشارة الأولى إلى الوجود. و«السقوط» **Verfallen - Fallenness** هو أسلوب لوجود الإنسان المنخرط فى عالم الناس بحيث يضيع فى العالم، وهو نسيان للذات الحقيقية فى خضم مشاغله اليومية. و«الالتباس» **Zweideutigkeit - Ambiguity** يعبر عن إستحالة التمييز بين ما هو حقيقى وما هو زائف فيما يتعلق بالعالم والآخر والذات.

(٣) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٦٤.

(¬) **«...There is no place for death in Being - for - itself, it can neither wait for death, nor realize it, nor project itself toward it, death is in no way the foundation of the finitude of the - for - itself».**
(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 547).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفسه بنفسه لأنه سيكون سلباً لكل انتظار(¬ ¬)... وينبغى أن نميز بعناية بين معنيين للفعل «ينتظر» الذى فيه خلط حتى الآن: فإن توقع الموت s'attendre ليس انتظاره son attendre(¬ ¬ ¬)، ولا نستطيع أن ننتظر إلا أحداث المعلوم الذى تكون عمليات معلومة بسبيل تحقيقه، ... لكن إمكانية موتى ... من جانب (الأمر) غير المتوقع، الذى ينبغى دائماً أن يُحسب حسابه بالمحافظة على طابعه الخاص كشئ غير متوقع؛ لا يمكن انتظاره، لأنه يضيع بنفسه فى اللامتعين ... موتى لا يمكن توقعه فى أى تاريخ، وبالتالى لا يمكن أن ينتظر(١)(¬)... إنه إعدام ممكن دائماً لإمكانياتى، أو هو خارج إمكانياتى، ولا أستطيع أن أنتظره؛ أى أن ألقى بنفسى نحوه بوصفه إحدى إمكانياتى(٢)... إن الموت الذى يشبه أكثر ما يشبه ختام لحن لا يمكن أن ينتظر بهذا الاعتبار، والصدفة، بفصلها فى الأمر، تسلب منه كل صفة أن يكون خاتمة منسجمة وختام لحن، ولكى يوهب اللحن معناه، لابد أن يصدر عن اللحن نفسه...»(٣).

يتضح من النص السابق أن الموت - فى تفسير «سارتر» - لا يمكن أن يمنح معنى للحياة؛ ذلك أن المعنى يأتى فحسب من خلال الذاتية، ولأن الموت لا يضرب بجذوره فى حريتنا؛ فليس بمقدوره إلا أن يحرم الحياة من كل معنى ... وإذا كان علينا أن نموت، فإن حياتنا لا تخلو من المعنى لأن مشكلاتنا لا تتلقى أى نوع من الحل، ولأن معنى المشكلات

(¬ ¬) **«...A waiting for death would be self destructive, for it would be the negation of all waiting»**
(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 540).
(¬ ¬ ¬)**«To expect death is not to wait for death»**
(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 535).

(١) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٤٤ - ٨٤٥.

(¬) **«...my death can not be forseen for any date, and consequently it can not be wait for».**
(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 535).

(٢) المرجع نفسه، ص: ٨٦٠.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٨٤٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذاته يظل دونما تحديد[١]. كما يرى «سارتر» أنه فيما يتعلق بانتظار الموت، فإن لكلمة «الانتظار» بصدد الموت معنيين؛ فبوسعنا أن نتوقع الموت من حيث المبدأ، وبمقدورنا أن ننتظر الموت، وهذا الأخير ليس ممكناً إلا فى مثال مَنْ حُكم عليه بالإعدام وتحدد موعد التنفيذ فى يوم وساعة بعينهما[٢].

وأما عن انتظار الموت فيعزوه «سارتر» إلى المسيحية التى نصحتنا دائماً بأن نعد أنفسنا للموت، وهكذا أصبح هدف الحياة انتظار الموت، ويرى سارتر أن النصيحة التى تساق بضرورة الاستعداد دوماً للموت، وكذلك «التصميم»[¬] الذى يقول به هايدجر هما أمران يسهل طرحهما لا اتباعهما[٣].

يقول «سارتر» عن انتظار الموت:

«... خاصية الموت هى أنه يمكن أن يفاجئ فى أية لحظة قبل الأجل أولئك الذين ينتظروه فى هذا التاريخ أو ذاك، وإذا كان موت الشيخوخة يمكن أن يختلط مع تناهى اختيارنا، وتبعاً لذلك يعاش كانسجام فى خاتمة حياتنا ...، فإن الموت المفاجئ، على العكس، هو بحيث لا يمكن أن يُنتظر أو يُتوقع؛ لأنه غير معين، ولا يمكن انتظاره فى تاريخ معين بحسب تعريفه: إنه يتضمن إمكانية أن نموت فجأة قبل التاريخ المنتظر، وتبعاً لذلك فإن إنتظارنا بوصفه انتظاراً يكون خداعاً»[¬ ¬].

---

(١) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٥٨.

(¬) التصميم: **Entschlossenheit - Resoluteness**: ظاهرة تعبر عن حقيقة الموجود الإنسانى ولب أصالته، كما تكشف عن حقيقة الوجود؛ فهو النداء الذى يحث الموجود الإنسانى على الخلاص. والتصميم الحقيقى يرتبط «بتوقع موت» الموجود الإنسانى، وبمقدار «ما يصمم» ذلك الموجود على توقع موته، يكون فهمه للسؤال الأصلى عن الوجود.

(٣) المرجع نفسه،

(¬ ¬)«... our waiting may be, Qua Waiting, a deception or that we shall survive beyond this date».

(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 536.

قارن أيضاً: (جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٤٦).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يتضح من النص السابق أن الموت شئ يمكننا أن نضعه فى الاعتبار، لكنه يحتفظ بسمته الأساسية باعتباره «الطارئ الداهم»، ولا يمكن فى ظل الظروف العادية التنبؤ بحلول الموت فى موعد محدد، وبالتالى انتظاره؛ وهناك فارق كيفى بين الموت من خلال الشيخوخة والموت السابق لأوانه؛ حيث إن الموت الذى يحل مع التقدم فى العمر يجعل الحياة أمراً محدوداً ومقيداً؛ ولكن بوسعنا فى غمار انتظار مثل هذا الموت أن نحدد أهدافاً فى الحياة فى ضوء الخلفية العامة لتناهى الحياة؛ لكن «إنتظار» الموت السابق لأوانه هو «توقع» لكون حياة المرء مشروعاً فاشلاً، فضلاً عن أن الطابع المميز لمعظم ضروب الموت إنما يتمثل فى أنها تفاجئ أولئك الذين ينتظرونها، ويمكن أن تخدعهم، فالموت لا يقبل قبل موعده قط، ولا يحل متأخراً عما هو متوقع.

يؤكد «سارتر» أنه إذا لم نكن شيئاً إلا هذا الانتظار أى «الوجود - للموت»، فإننا إما أن نموت قبل أن تكتمل مهمتنا، وهى انتظار الموت أو بعد تحققها، ونادراً ما نموت من خلال العزم أو التصميم - كما يرى «هايدجر» - إن الصدفة وحدها هى التى تقرر طريقة موتنا؛ أى ما إذا كنا سنموت قبل الأوان أو من خلال الشيخوخة[1]. ومن ناحية أخرى يرى «سارتر» أن الحياة هى نوع من الانتظار لما «لم يقع بعد»، وذلك فى مقابل أن الموت هو «كل ما أُنجز وتم»، وعلى هذا فمن الضرورى لنا أن نعتبر حياتنا على أنها ليست مصنوعة فقط من التوقع والإنتظار؛ بل من توقعات هى نفسها انتظار لتوقعات وألوان من الانتظار[2].

يقول فى ذلك:

«... حياتنا ليست إلا انتظاراً طويلاً: إنتظاراً لتحقيق غاياتنا، (الخوض فى مغامرة هو انتظار المخرج منها)، وانتظار أنفسنا خصوصاً (حتى لو تحققت هذه المغامرة، ... إذ يبقى أن تحدد مكان هذه المغامرة نفسها فى حياتى معناها وقيمتها ... فحياتنا مؤلفة من ألوان من الانتظار تنتظر هى الأخرى، وهذه الألوان تقتضى الإشارة إلى حد نهائى سيُنتظر دون أن ينتظر شيئاً بعد سيكون وجوداً وليس انتظاراً للوجود ... وبهذا الحد النهائى سيكون استئناف

---

(١) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) جيمس كارس: «الموت والوجود»، ص: ٤٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ماضينا قد تم نهائياً وإلى الأبد»[١].

وعلى الرغم من أن «هايدجر» قد تناول «انتظار الموت» فـــى مؤلفـــه «الوجـــود والزمان» إلا أنه تناوله لإنتظار وتوقع الموت جاء مختلفاً.

فإذا كان الموت هو إمكانية إستحالة كل علاقة جديدة عند «هايدجر» - كمـــا ســـبق ذكره - فإن قبوله هو إنتظار أو توقع للموت من حيث إنه إمكانيـــة دائمـــة «للوجـــود - للموت»[٢]، وليس تقبلنا للموت إنتظاراً مستمراً للحظة النهاية فحسب؛ بل هو أيضاً مواجهة مستمرة لذلك العدم الذى يخلع على وجودنا طابعه الحاسم[٣].

ب - توقع إمكانية الموت عند هايدجر :

وإذا كان «سارتر» - كما سبق بيانه - قد ذهب إلى أن انتظار[¬] الموت يدمر ذاته حيث إنه سلب لكل انتظار، فإن «هايدجر» فى المقابل يذكر ثلاثة مواقـــف إزاء المـــوت: أولهما: التفكير فى الموت أو تأمله[¬¬]، وفيه يفكر الموجود الإنسانى فى المـــوت، متـــى وكيف يمكن أن يتحقق كإمكانية؛ إلا أن التفكير فى الموت وتأمله - كما يرى «هايدجر» - يضعف من إمكانية الموت عندما يهتم الإنسان بحساب كيفية وموعد وقوعه.

أما عن الموقف الثانى فهو انتظار الموت[¬]، وليس انتظار المـــوت - فـــى نظـــر «هايدجر» - هو الموقف الصحيح للموجود الإنسانى؛ لأن إنتظار شئ ممكن هـــو دائمـــاً فهمه وامتلاكه بالنظر إلى موعده وكيفية وقوعه كوجود - فى - متناول اليد، والانتظـــار أسوأ من التأمل لأنه يضعف ويزيف إمكانية الموت، ذلك أنه - بصورة أساسية - انتظـــار التحقق، ففيه يثب الموجود الإنسانى بعيداً عن الممكن إلى الواقع الفعلى[٤].

يرى «هايدجر» موقفاً ثالثاً صحيحاً يعبر عن «إمكانية الموت» - التـــى ســـبق أن

---

(١) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٤٨ - ٨٤٩.

(٢) ريجيس جوليفيه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٠٣.

(٣) زكريا إبراهيم: «دراسات فى الفلسفة المعاصرة»، ص: ٤٣٩.

(¬) يلاحظ أن «سارتر» لم يفرق بين انتظار الموت وتوقعه كما فعل «هايدجر».

(¬¬) Grübeln - brooding.

(¬) Erwarten - expecting.

(4) Heidegger, M.: «Being & Nothingness», P. 307 - 310.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رفضها «سارتر» رفضاً تاماً - ، وهذا الموقف هو التوقع أو توقع إمكان الموت(¬ ¬).

والموجود الإنسانى فى «التوقع» يقترب أكثر من الموت بصورة فاهمة، وكلما زاد فهمه للموت، عظمت إمكانية الممكن، ويكون ذلك بعيداً كل البعد عن التحقق فى الواقع الفعلى. وبعبارة أدق، فى «التوقع» تتكشف طبيعة الإمكانية التى يتغلغل فيها الفهم ويسرى بوصفها إمكانية استحالة أى موجود على الإطلاق(١).

ويمكن القول للتمييز بين «الانتظار والتوقع» إن الانتظار ينطوى على سلبية تتحول فى حال التوقع إلى إيجابية، والتمييز بينهما يقوم على الطريقة التى ينظر بها الموجود الإنسانى إلى الموت؛ ففى «إنتظار الموت» بوصفه واقعاً فعلياً إنتظار وجود لم يعد ممكناً، وبالتالى ينتزع من الإمكانية إمكانية الوجود؛ أما «توقع الموت» بوصفه إمكانية، فهو يركز على إمكانية الموجود الإنسانى بوصفه «وجوداً - للموت»(٢).

ننتهى مما سبق إلى أن التوقع الدائم للموت يسمح للموجود الإنسانى بأن يوقن من وجوده الصميم فى ضوء بنيته الكلية، وهو وحده الذى يسمح بالاعتقاد فى صدق «أنا موجود»، كما أن التوقع القَلِق للموت يحرر ذلك الموجود من أجل أن يكون ذاته؛ إنه الحرية - من أجل - الموت؛ فالتوقع القلق للموت هو بمثابة الإمكانية النهائية للموجود الإنسانى، وإدراك واقعى للموت ضمن مشروعاته، أى أن الإنسان فى «الوجود - للموت» يتوقع إستحالة الممكن. ويضع مشروعه الملقى به، ويكشف عن عدم العالم، وعما فى وجوده من تناه(٣).

يقول «هايدجر» فى علاقة توقع الموت بوجود الإنسان الحقيقى:

«... فى التوقع يتأكد الموجود الإنسانى أولاً من وجوده الخاص الكلى الذى لا يمكن تخطيه ... والموجود الإنسانى ذاته بوصفه إمكانية للوجود يمكن للوجود الحقيقى أن يتحقق من خلاله عن طريق التوقع فحسب ... والتوقع

(¬ ¬) Volaufen, anticipation, running a head into.

(1) Edwards, P.: «Heidegger on Death», P. 555 - 557.

(2) Gelven, M.: «A commentary …», P. 156.

(3) Chapelle, A.: «L'Ontologie Phénomenologique de Martin Heidegger - (Commentaire de Sein und Zeit). Ed., Universitaires, Paris, 1962, P. 113 - 115.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يختلف عن الوجود الزائف ـ للموت، فلا يتجنب الموت بوصفه واقعاً لا يمكن تجاوزه، وإنما يحرر ذاته كى يتقبل هذا الواقع[٦]. *وعندما يصبح الموجود الإنسانى حراً ـ عن طريق التوقع ـ من أجل موته الخاص ... يتمكن من الفهم الحقيقى، ويختار من بين الإمكانيات الواقعية ...، وبذلك يتحول التوقع إلى إمكانية فهم الوجود؛ أى إمكانية للوجود الحقيقى*»[١].

ويعنى ذلك أن «التوقع» عند «هايدجر» تعبير عن إمكانية الوجود الحقيقى للموجود الإنسانى، وعن طريقه يتم إدراك الوجود الممكن، والسؤال الأنطولوجى عن معنى الوجود[٢]؛ ذلك أن قدرة الموجود الإنسانى على استباق الموت أو توقعه هى الأساس لكل محاولة لإدراك وجوده ككل[٣].

يقول فى هذا الصدد:

«*... يتم الكشف عن الإمكانية اليقينية للموت، لأنها ممكنة الاستباق أو التوقع ... فالوجود ـ للموت هو توقع لإمكان وجود الموجود الذى يتسم نوع وجوده بالتوقع*[٤] *أو الاستباق ... وفى الاستباق تبقى الإمكانية كما هى، ولا تصبح وجوداً حاضراً، وإنما تظل إمكانية يتجه إليها الوجود، ويصبح على مقربة شديدة منها ... هذه الإمكانية التى أثب نحوها هى بأقصى معنى إمكانيتى ...* [٥] *ففى الوجود ـ للموت يحقق الموجود الإنسانى معنى الاقتراب الشديد من الممكن كإمكانية التحقق أكثر من أى شئ واقعى آخر*»[٦].

يتضح من ذلك النص أن الموجود الإنسانى عند «هايدجر» يسلك إزاء الموت مسلك

(ـ) يذكرنا موقف هايدجر بحبُ المصير **amor fati** عند نيتشه، فمعنى الحياة لا تقع خارجها، وإنما الحياة ذاتها هى هدف ومقصد ذاتها «الموقف الديونيزيوسى حيال الحياة».

(1) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 307 - 310.
(2) Gelven, M.: «A commentary …», P. 156 - 157.
(٣) زكريا إبراهيم: «دراسات فى الفلسفة المعاصرة»، ص: ٤٣٧.
(4) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 307 - 310.
(5) Heidegger, M.: «Prolegomena …», S. 439.
(6) Heidegger, M.: «Being & Time», P. 306.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الترقب لإمكانية ستقع يقيناً، ولكن فى وقت غير معلوم، لذا نصف «الوجود - للموت» الذى علينا أن نتحمله، ونواجهه، وندخل فى حوار دائم معه[¬] بأنه «إستباق إلى الإمكانية»؛ إنها إمكانية كل وجود أو استحالته، وهى تتزايد مع الاستباق إليها، وليس هناك مقياس تقاس به، ولا تعطينا أى فكرة واقعية عن هذا الممكن الذى نترقبه حتى نستطيع أن نتهيأ له[١].

صفوة القول إن إدراك الموت بوصفه مصيراً للموجود الإنسانى يضع كل التأثيرات الخارجية على نفس المستوى، ويحررها من كافة القيود، فضلاً عن أنه يضفى دلالة بالغة على «اللحظة» التى يرتكز عليها معنى الوجود[٢].

٣ - الموت بين الوجود - للآخر، والوجود - للأنا :

أ - وقائعية الموت والوجود - للآخر عند سارتر :

يقول سارتر:

«... خاصية الحياة الميتة هى أنها حياة يضع الآخر نفسه حارساً لها - وهذا لا يعنى فقط أن الآخر «يمسك بحياة المتوفى» بأن يعيدها إعادة صريحة ومعرفية، وعلى العكس، مثل هذه الإعادة ليست إلا أحد المواقف الممكنة للآخر بالنسبة إلى الحياة الميتة ... إن العلاقة مع الموت ... هى تركيب جوهرى للعلاقة الأساسية التى سميناها «الوجود - للآخر»[¬][٣]... ولهذا فإن وجود الموت نفسه يشعرنا بالاغتراب كليةً فى حياتنا لصالح الآخر؛ فأن يكون «المرء» ميتاً هو أن يكون

(¬) ثمة تشابه بين «هايدجر» و«هيجل» فى هذا الصدد؛ إذ يتحدث هيجل فى «ظاهريات الروح» عن وعى العبد الذى لا يملك شجاعة تقبل الموت، ووعى السيد الذى يتقبل ويريد الموت، والتوتر الجدلى بين الإثنين يكمن خلف التطور التاريخى؛ فالسيد يدفع العبد إلى النضال من أجل الحرية، وهذا هو المضمون الحق للتاريخ عند هيجل.

(١) مارتن هايدجر: «نداء الحقيقة»، ترجمة ودراسة وتعليق، عبد الغفار مكاوى، ص: ٨٩.

(2) Langan, T.: «The Meaning of Heidegger», P. 33.

(¬) «...The relation with the dead ... is an essential structure of the fundamental relation which we have called "being - for - others"».

(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 542).

(٣) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٥٤، ٨٥٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فريسة للأحياء[1](¬¬)... إن الموت هو الحكم علىّ بألا أوجد إلا بواسطة الآخر، وأن أستمد منه معناه بل ومعنى انتصاره(¬¬¬)[2]... وبسبب الآخر يكون موتى هو سقوطى خارج العالم بصفة ذاتية»[3].

يتضح مما سبق أن الموت - فى نظر سارتر - ليس شيئاً آخر غير وجه ما من أوجه الوقائعية والوجود - للآخر، أى ليس شيئاً آخر غير ما هو معطى، ومن العبث أن نكون قد ولدنا، ومن العبث أيضاً أن نموت، ومن ناحية أخرى، فإن الطابع العبثى للموت يتجلى بوصفه الاغتراب المستمر لوجود الإمكانية التى ليست بعد إمكانيتى؛ بل إمكانية الآخر؛ فهو إذن حد خارجى ناجم عن ذاتيتى(¬)[4]. وفى الموت يصبح الإنسان مجرد كائن ثابت لا ينتظر أى دلالة أو معنى من المستقبل؛ لأن المستقبل ممتنع بالنسبة له، ولكن المستقبل ليس ممتنعاً بالنسبة للآخرين، ولذلك فإن الأمر ينتقل إلى الآخرين، ويصبح مصير الكائن الإنسانى الذى توقف عن الحياة فى أيدى الآخرين. أما بالنسبة له فالأمر يكون قد انتهى؛ لأن الموت ليس ملاشاة وشروعاً وإنما هو سقوط الذات خارج العالم، وإذن فالموت هو انتصار للآخر، أى انتصار لوجهة نظره على وجهة النظر التى يكونها الكائن الميت؛ أما مصير الكائن الميت نفسه من حيث دلالة حياته وقيمتها، فهو خاضع للآخرين يتحول ويتغير بمقتضى نظرتهم وحريتهم؛ إنه لا يعود يوجد إلا فى البعد الخاص بالخارجية؛ أى أنه يصبح «وجوداً - فى - ذاته - لأجل - الآخر»، وبما أن الإنسان لا يمكنه أن يرى نفسه من وجهة نظر الآخرين باعتباره ذاتاً، كذلك يستحيل على الإنسان أن

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٨٥٨.

(¬¬) **«...The very existence of death alienates us wholly in our own life to the advantage of the other. To be dead is to be a prey for the living»**
(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 543).

(¬¬¬)**«...to die is to exist only through the other, and to owe to him one's meaning and the very meaning of one's victory».**
(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 544).

(٢) جان بول سارتر: «الوجود والعدم»، ص: ٨٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٨٦٣.

(¬) **«...Death is therefore an external and factual limit of my subjectivity.**
(Cp: Sartre, J. P.: «Being & Nothingness», P. 547).

(٤) المصدر نفسه، ص: ٨٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يرى حياته من ناحية الموت؛ أى أن يتخذ الموت مركزاً ينظر فيه إلى حياته[١][¬¬].

يعنى ما سبق أن الموت - من الجانب الإيجابى - هو انتصار للآخر على الوعى، ومن هنا فهو يحيلنا إلى واقعة عارضة، أى إلى حادثة غير لازمة هى وجود الآخر، فإذا لم يوجد الآخر لم نعرف هذا الموت، وهو بهذا المعنى لا يخص التركيب الأنطولوجى للوعى كما سبق بيانه[٢]، فضلاً عن أنه يشير إلى الحقيقة الأخرى الأساسية وإن كانت معتمدة على غيرها كلية ألا وهى حقيقة «وجود الآخر»[٣].

ب - إمكانية الموت والوجود - للأنا عند هايدجر :

أما «هايدجر» فقد تناول علاقة الموت بوجود الآخر عندما قام بتحليل عبارة «الحياة اليومية المتوسطة القائلة: *كل إمرىء يموت، ولكن الموت حتى هذه اللحظة لم يأتِ بعد*»، وهذه العبارة هى التى يتميز بها الوجود الزائف للموت، ولقد توصل من تحليله الأنطولوجى لهذه العبارة إلى أن الحياة اليومية تحجب أو تهمل ظاهرة الموت، أو تحجب أن الموت هو فى كل الأحوال «موتى» الخاص، فالموت عند الناس هو موت «الآخر» لا موت «الأنا»، وذلك للقضاء على كل قلق يساورنا بهذا الخصوص.

كما انتهى «هايدجر» فى تحليله السابق إلى أن «الموت وجوداً زائفاً» هو نهاية مجهولة، وغير محدد، ولا موضع له فى الوقت الحاضر، وهو ليس وجوداً حاضراً، ولا فى متناول اليد، ولا يصح أن يشغلنا أكثر مما ينبغى؛ إنه حدث عام يصادفه الآخرون ولا يهددنا، لأن من يموت هو «الآخر» أو «الذات الجمعية» أو «لا أحد»، وبذلك يكون الموت - وفقاً للوجود الزائف وليس الحقيقى - «حالة فعلية» وليس إمكانية، أو هو إمكانية وجود لا تخص واحداً بعينه، مما يعنى الفرار المستمر من مواجهة الموت.

---

(١) حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، ص: ٢٣٢ - ٢٣٣.

(¬¬) سارتر يعرض لهذه المحاولة المستحيلة فى قصة «الجدار» **Le Mur** على لسان توم **Tom**؛ أحد المحكوم عليهم بالموت، فهو يقول: «... إننى أرى جثتى، ليس هذا بالأمر الصعب، ولكن ها أنذا أراها بعينى رأسى، ينبغى أن أستطيع التفكير فى أننى لن أرى شيئاً بعد ذلك، وأننى لن أسمع شيئاً بعد ذلك، وأن الحياة ستستمر لأجل الآخرين. ليس فى قدرة المرء أن يفكر هكذا ... أحياناً كنت أسهر طيلة الليل فى انتظار شئ ما. ولكن هذا الشئ لم يكن يشبه هذا (يعنى الموت). فهو يفجؤنا من الخلف ... ولم نستطع أن نعد أنفسنا له» (قارن: حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، ص: ٢٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٣٣.

(٣) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٦٢ - ٢٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كما انتهى «هايدجر» فى تحليله إلى أن الموت فى الوجود الزائف، ومن وجهة نظر «الناس» حالة عرضية بغيضة تدفع إلى مواساة الآخر، وتقديم صورة مهدئة له عن الموت أو نسيان الموت للإيهام بتفوق الموجود الإنسانى على كآبة الحياة، فضلاً عن أن هذه النظرة الزائفة للموت تراه مجرد حقيقة إحصائية أو يقين تجريبى مرده أن كل نفس ذائقة الموت، وهذا اليقين فى رأى «هايدجر» - هروب من الموت بمعناه الحقيقى، ولا يرقى إلى درجة يقين المعرفة النظرية، وفى هذا اليقين إنكار للمعنى الحقيقى ليقين الموت؛ لأنه يؤجل الموت ويخفى أنه ممكن فى كل لحظة(١).

والموت - عند «هايدجر» - ليس حدثاً أو حالة وفاة أو نهاية تبلغها الأنا كما تصوره الأنطولوجيا التقليدية التى تبحث فى الموجودات الحاضرة، وتعتبر الإنسان واحداً منها؛ وإنما الموت ظاهرة وجودية تتعلق بوجود الإنسان - فى - العالم.

كما يرى «هايدجر» أن الموت بمعناه الأنطولوجى «ظاهرة للحياة» لأن الحياة أسلوب وجود مرتبط بالوجود - فى العالم، وأن للتفسير الأنطولوجى للموت أولوية على التفسير الأونطيقى(¬)، وعلى أى بيولوجيا عن الحياة، لأنه يتقدم هذه التفسيرات جميعاً ويفترضها، كما أنه له الأولوية على أى تأمل أونطيقى خاص بالعالم الآخر، لأن ميتافيزيقا الموت تقع خارج نطاق التحليل الوجودى للموت، إستناداً إلى أن المشكلة الحقيقية للموت عند «هايدجر» هى مشكلة الواقع الإنسانى فى هذا العالم باعتبار أن الموت جزء من وضع الموجود الإنسانى الوقائعى(٢).

---

(١) كاتبة السطور: «الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر»، ص: ٣٤٥.

(¬) أى أن للتفسير الذى يهتم بالوجود بما هو كذلك الأولوية على التفسير الذى يهتم بالموجودات.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٣٤٦ - ٣٤٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعقيـــب :

نحاول فى هذا التعقيب الإجابة عن السؤال الثالث والأخير فى هـــذه الدراســـة: مـــا طبيعة علاقة الموت بالتناهى والانتظار، والوجود للآخر - أو الوجود - للأنا فى ضـــوء الوقائعية والإمكانية ؟

أ - أما عن علاقة الموت بالتناهى، فقد تبين لنا وقائعيـــة التنـــاهى عنـــد «ســـارتر» وإمكانية التناهى عند «هايدجر» فيما يلى من نتائج :

١ - يرى «سارتر» - خلافاً «لهايدجر» - ضرورة الفصل التام بـــين فكرتـــى المـــوت والتناهى؛ لأن الموت واقعة عرضية تتوقف على الوقائعية؛ بينما التنـــاهى تركيـــب أنطولوجى لما هو - من أجل ذاته، أى أنه يرتبط بالحريـــة والاختيـــار؛ فـــالموت ضرورة أنطولوجية مشروطة تنبع من الوقائعية؛ بينما التناهى بنية أنطولوجية لمـــا هو من أجل ذاته، والموت يقع دائماً فيما وراء ذاتى؛ ولا يحدثنا عن المطلق، وإنما يقوم فى الإطار الإنسانى فحسب، وله طابعه العبثى أو اللامعقول.

إذن يربط «سارتر» بين الحرية والتناهى وليس بين الموت والتناهى كما فعل «هايدجر»؛ فالتناهى عند «سارتر» معناه أن يكون المرء ذاته، أو بعبـــارة أخـــرى، حدث التحرر - وفقاً لما يراه «سارتر» - إفتراض وخلق للتناهى.

٢ - يربط «هايدجر» بين الموت والتناهى؛ «فالوجود - للموت» عنده هو أهم ظاهرة يمكـــن أن تكشف عن الأساس الحقيقى والأنطولوجى لوجود الإنـــسان، والمـــوت هـــو الحـــد «النهائى» لمشروعاتنا، وإذا تمكننا من رؤية أنفسنا من خلال هذا الحد النهائى، فـــسوف يتضح ما لمشروعاتنا من معنى ودلالة.

٣ - الموت عند «هايدجر» بوصفه إمكاناً مطلقاً ونهائياً يثير مـــشكلة تـــصور الوجـــود الإنسانى ككل، لأنه حد للوجود، وإدراك هذا الحد يمكن من التفكيـــر فـــى وجـــود الموجود الإنسانى بوصفه كلاً متناهياً، والإنسان فى بنيته الكلية ليس إلا «وجوداً - ملقى به - إلى الموت»، ولا ينبغى أن ندرك هذه البنية الكلية فـــى حـــدود تنـــاهى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموجود الإنسانى، وإنما ندرك التناهى من خلال وجود الإنسان الكلى، فالتناهى معنى أنطولوجى أساسى، ويجب إدراكه من حيث هو كذلك.

٤ - الموجود الإنسانى عند «هايدجر» انفتاح واكتماله لا يكون إلا بالموت، والوجود الحقيقى قبول حاضر لواقعة الموت؛ فمواجهة الموت هى اللحظة الحاسمة فى الوجود الحقيقى بوصفها الإمكانية الحاضرة التى تعلى من شأن الحاضر أو اللحظة، وعلى أساس هذا القبول يتم الكشف عن المستقبل.

ب - وأما عن علاقة الموت بالانتظار أو التوقع فى ضوء الوقائعية والإمكانية،فقد تبين لنا أن الموت سلب لكل انتظار أو توقع عند «سارتر» فيما يلى من نتائج:

١ - إنتظار الموت عند «سارتر» سلب لكل انتظار، فموتى لا يمكن توقعه فى أى تاريخ، وبالتالى لا يمكن أن يُنتظر؛ إنه إعدام ممكن دائماً لإمكانياتى أو هو خارج إمكانياتى.

٢ - «الصدفة» وحدها - عند «سارتر» - هى التى تقرر طريقة موتنا؛ أى ما إذا كنا سنموت قبل الأوان أو من خلال الشيخوخة، و«الحياة» عنده - وليس الموت - إنتظار «لما لم يقع بعد»، أما الموت فهو «كل ما أنجز وتم » ولا يمكن أن يكون انتظاراً.

٣ - ثمة معنيان لانتظار الموت عند «سارتر»: توقع الموت من حيث المبدأ، وانتظار الموت، وهذا الأخير ليس ممكناً إلا بالنسبة لمن حُكم عليه بالإعدام فى وقت بعينه، أما الموت المفاجئ، فلا يمكن أن يُنتظر أو يتوقع لأنه غير معين، ومن ثم فإن فى انتظاره خداعاً.

٤ - يرى «سارتر» - مخالفاً «لهايدجر» - أنه إذا لم نكن شيئاً سوى انتظار الموت أى «الوجود - للموت» بمعناه عند «هايدجر»؛ فإما أن نموت قبل أن تكتمل مهمتنا (إنتظار الموت) أو بعد تحققها، ونادراً ما نموت من خلال العزم أو التصميم وفقاً لما يراه «هايدجر».

كما ترتب على توقع إمكانية توقع الموت عند هايدجر ما يلى:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١ - قبول الموت عند «هايدجر» هو انتظار أو توقع للموت من حيث إنه إمكانية دائمة «للوجود - للموت»، فضلاً عن أن هذا القبول هو بمثابة انتظار مستمر للحظة النهاية، ومواجهة مستمرة لذلك العدم الذى يخلع على وجودنا طابعه الحاسم.

٢ - ثمة مواقف ثلاثة بإزاء الموت عند «هايدجر»:

أ - إنتظار الموت وهو - عند «هايدجر» - أسوأ من التأمل، لأنه يضعف ويزيف إمكانية الموت؛ فهو انتظار التحقق، وفيه يثب الموجود الإنسانى بعيداً عن الممكن إلى الواقع الفعلى.

ب - توقع إمكان الموت، وهو الموقف الصحيح المعبر عن إمكانية الموت، حيث يقترب الإنسان من الموت بصورة فاهمة، وكلما زاد فهمه للموت، عظمت إمكانية الممكن، ويبتعد ذلك عن التحقق فى الواقع الفعلى؛ ففى «التوقع» تنكشف طبيعة الإمكانية التى يتغلغل فيها الفهم ويسرى بوصفها إمكانية إستحالة أى موجود على الاطلاق.

ج - الإنتظار عند «هايدجر» ينطوى على سلبية تتحول إلى إيجابية فى حال التوقع؛ ففى «انتظار الموت بوصفه واقعاً فعلياً» إنتظار وجود لم يعد ممكناً، وبالتالى ينتزع من الإمكانية إمكانية الوجود - وإلى هذا الحد يتفق «هايدجر» مع «سارتر» - أما «توقع الموت بوصفه إمكانية» فهو يركز على إمكانية الموجود الإنسانى بوصفه وجوداً - للموت، وهذا الرأى إنفرد به «هايدجر».

٤ - التوقع الدائم للموت يسمح للموجود الإنسانى بأن يوقن من وجوده الصميم فى ضوء بنيته الكلية، والتوقع القَلِق للموت يحرر الموجود الإنسانى كى يكون ذاته بحيث يصبح «حرية - من أجل - الموت»، بوصفه الإمكانية النهائية للموجود الإنسانى، وإدراجاً واقعياً للموت ضمن مشروعاته.

٥ - «التوقع» عند «هايدجر» تعبير عن إمكانية الوجود الحقيقى للموجود الإنسانى، وعن طريقه يتم إدراك الوجود الممكن والسؤال الأنطولوجى عن معنى الوجود، بحيث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تصبح قدرة الموجود الإنسانى على استباق الموت أو توقعه هى الأساس لكل محاولة لإدراك وجوده ككل.

ج - وأما عن علاقة الموت «بالوجود - للآخر» و «الوجود - للأنا» فى ضوء الوقائعية والإمكانية، فقد ترتب على «وقائعية الموت والوجود - للآخر» عند سارتر ما يلى ما نتائج:

١ - الموت - عند «سارتر» - وجه من أوجه «الوقائعية» و«الوجود - للآخر»، وليس شيئاً آخر غير ما هو معطى؛ فهو الحكم علىّ بألا أوجد إلا بواسطة الآخر، وأن أستمد منه معناه؛ ذلك أن الموت هو سقوط الذات خارج العالم، وانتصار الآخر، أى لوجهة نظره، كما أن مصير الكائن الميت نفسه من حيث دلالة حياته وقيمتها خاضع للآخرين؛ فلم يعد يوجد إلا فى البعد الخاص بالخارج، أى يصبح «وجوداً - فى - ذاته - لأجل الآخر».

٢ - إذا لم يوجد «الآخر» فلن نعرف الموت؛ لأن الموت عند «سارتر» لا يخص التركيب الأنطولوجى للوعى، كما أن الموت عنده يشير إلى حقيقة أساسية أخرى تعتمد على غيرها كليةً وهى وجود الآخر.

كما ترتب على «إمكانية الموت والوجود - للأنا» عند هايدجر ما يلى من نتائج:

١ - ترتبط علاقة الموت بالوجود - للآخر عند «هايدجر» بالوجود الزائف للموت؛ فالحياة اليومية المتوسطة تحجب أو تهمل ظاهرة الموت؛ والموت عند «الناس» أو «الذات الجمعية» هو موت «الآخر» «لا موت الأنا». إن الموت وجوداً زائفاً حدث عام يصادفه الآخرون، ولا يهددنا؛ لأن من يموت هو «الآخر» أو «الذات الجمعية» أو «لا أحد».

إذن الموت وجوداً زائفاً عند «هايدجر» حالة فعلية وليس إمكانية، أو إمكانية وجود لا تخص أحداً بعينه، مما يعنى الفرار المستمر من مواجهة الحدث؛ إنه حالة عرضية بغيضة تدفع إلى مواساة الآخر وإيهامه بتفوق الموجود الإنسانى على كآبة الحياة، فضلاً عن أن الموت فى الوجود الزائف مجرد حقيقة إحصائية أو يقين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تجريبى مرده أن كل نفس ذائقة الموت، وهذا اليقين - عند «هايدجر» - هروب من الموت بمعناه الحقيقى، لأنه يؤجل الموت، ويخفى أنه ممكن فى كل لحظة.

٢ - وفى المقابل نجد أن الموت بمعناه الأنطولوجى عند «هايدجر» ظاهرة للحياة من حيث هى أسلوب وجود يرتبط بالوجود - فى - العالم. فالتفسير الأنطولوجى للموت له الأولوية على التفسير الأونطيقى، وعلى أى تأمل أونطيقى خاص بالعالم الآخر؛ لأن ميتافيزيقا الموت تقع خارج نطاق التحليل الوجودى للموت، علماً بأن المشكلة الحقيقية للموت عند هايدجر هى مشكلة الواقع الإنسانى فى هذا العالم باعتبار أن الموت جزء من وضع الموجود الإنسانى الوقائعى.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخاتمـــة

فى ضوء العرض السابق لآراء «سارتر» و «هايـدجر» حـول مـوت الإمكانيـة وإمكانية الموت، نحاول فى هذه الخاتمة أن نورد بعض الملاحظات الختامية حـول تقيـيم موقف الفيلسوفين كما يلى:

أولاً - على الرغم من أوجه الخلاف فى تفسير كل مـن «سـارتر» و«هايـدجر» لأنطولوجيا الموت؛ فإن الأسلوب الذى اتبعه كل منهما هو نفس الأسـلوب؛ «فهايـدجر» حاول أن ينقذنا من «الخوف من الموت»، و «سارتر» حاول أن يجنبنـا رعـب تجـاوز الوعى لذاته بصورة أبدية، بحيث يمكن القول إن «سارتر» أراد منا أن نفتـرض بحريـة «تجاوز الذات»؛ بينما أراد منا «هايدجر» أن نفترض بحرية «الموت». يرى «سارتر» أنه من المستحيل أن نفر من الغموض الذى يكتنف وجودنا (واقعة الموت)؛ ولكن من الممكن أن نريد هذا الغموض (الحرية)؛ بينما يرى «هايدجر» أنه من المستحيل علينا أن نفر مـن الموت، ولكن من الممكن أن نريد الموت (الوجود - للموت)؛ كلاهما يعرف أن الوجـود الإنسانى متناه؛ ومع ذلك فقد أرادا السيطرة على هذا التناهى كل من خلال تفسيره الخاص للموت.

ذهب «هايدجر» إلى أنه عن طريق تأمل موتنا بوصفه الإمكانية الشخصية الفريـدة نصبح كلا متناهياً؛ بينما رأى «سارتر» أن «الحرية»، والذات المحكوم عليهـا بالحريـة ومسئوليتها عن ذلك متناهية أيضاً[1].

ويصر «هايدجر» على الحاجة إلى مواجهة الموت بوصفه «إمكانية»؛ بل أقـصى إمكانية ممكنة لدى الموجود الإنسانى؛ بينما يرى «سارتر» أن «الموت» حقيقـة واقعـة؛ لكن هذه الحقيقة هى التى تظهر الأشياء كلها فى نهاية المطاف متساوية ولا أهمية لها عند «سارتر»؛ فهو العبث الأخير، وهو لا يقل عبثاً عن الحياة ذاتها؛ فالموت يظهر كجزء من «الصفقة» على حد تعبيره. ولا يعنى ذلك أن «هايدجر» فى نظرته للموت كان عدمياً؛ بل بحث عن مخرج من الموت بالتأكيد على الوجود الحقيقى للإنسان، فالموت هـو الحقيقـة العظمى التى تجعل كل ما عداها نسبياً[2].

---

(1) Olson, R.: «An Introduction ...», P. 212.

(٢) جون ماكورى: «الوجودية»، ص: ٢٨٧ - ٢٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً - يرتكز الخلاف الأساسى بين «سارتر» و«هايدجر» فيما ذهب إليه «سارتر» من أن أهم خصائص الوجود الإنسانى هو تجاوزه لذاته، والضرورة الأنطولوجية لوجودنا المحكوم عليه بالحرية، علماً بأن كل مظاهر القلق والمأساة فى الوجود الإنسانى إنما تصدر عن تلك الخاصية التى تؤسس تناهينا؛ أما «هايدجر» فيرى أن «الموت» هو أعظم مصدر للقلق، وأنه الرمز الأساسى لتناهى الإنسان، ومع ذلك فهو لا ينكر تجاوز الذات والعلو عليها؛ بل يمكن القول بأن آراء «سارتر» فى هذا الصدد قد استمدها من «هايدجر».

ومن ناحية أخرى، فإن «سارتر» قد أكد على مشكلة المسئولية الأخلاقية أكثر من مشكلة الموت، وكان الأمر على العكس من ذلك عند «هايدجر»، فالوعى بالموت عند «هايدجر» يحقق ذاتية الفرد؛ ذلك الفرد الذى يتمتع بالقدر اللازم من الشجاعة لمواجهة قلق الموت.

أما «سارتر» فيرى أن الفرد الشجاع هو من يمتلك القدرة على إتخاذ قرارات حقيقية، والوعى بالموت، ومحاولة النظر إلى الحياة بوصفها كلاً إنما يمثل حاجزاً فى سبيل الوجود الحقيقى؛ فهى تتضمن بالضرورة تخلياً عن حق الاختيار[1].

يمكن مقارنة موقف «هايدجر» بالرواقى(¬)، و «سارتر» بأبيقور؛ فالأول يحاول تأسيس موقفه من الموت على الإلتصاق الأنثروبولوجى المطلق به، وعلى تثبيت نظرته عليه باستمرار، أما «سارتر» فهو يؤسس موقفه على العكس من ذلك على لحظة التحرر؛ إن «سارتر» يقلل من شأن الموت إلى حد أنه ينسى واقع رهبة الموت؛ إن الحرية هى سجنه الفلسفى؛ أما «هايدجر» فيطرح الموت بحسبانه معنى الحياة، وذلك بجعله معنى مجرداً من المعنى(¬¬)، فضلاً عن أن «سارتر» يجعل الحرية معنى يتسم بالحماقة(¬¬¬).

ثالثاً - للموت عند «سارتر» - على الرغم من ذلك - بعض الجوانب الإيجابية:

---

(1) Olson, R.: «An Introduction ...», P. 210 - 212.

(¬) هناك من أكد أيضاً على ضرورة الموت فى تاريخ الفلسفة مثل هايدجر - وهم الرواقيون من أمثال لوقريتوس، وابكتيتوس، وسينيكا، وماركوس أوريليوس، وهم يرون أن إدراك ضرورة الموت يتيح للمرء الموت بلا قلق وفى حرية مؤكداً قانون وجود الإنسان، يقول سينيكا: «*حتى لا نخاف من الموت علينا ألا نتوقف عن التفكير فيه!*».

(¬¬) un sens insensé.

(¬¬¬)un sens sans sens.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فالموت يكشف النقاب عن حريتنا، وهذه هى وظيفته الأولى؛ وهو لا يحقق فحسب الكشف عن الحرية؛ بل يحرر الإنسان بالفعل من عبء الوجود.

وإذا كان الموت بالنسبة لمعظم الناس يحرم الحياة من أى معنى، فهو عند «سارتر» يجعلها بلا معنى، وترجع أهمية آراء «سارتر» فى هذا الصدد إلى تصعيده مشكلة معنى الحياة عند الإنسان المعاصر إلى أقصى حد ممكن؛ أما إذا كانت فلسفة «سارتر» ستصبح مصدراً لليأس أو تحدياً لتنفيذ حكمه بعبثية الحياة والموت؛ فذلك أمر يعتمد على مدى استعدادنا لاستخدام حريتنا التى دافع عنها «سارتر» بقوة بالغة للبحث عن معنى الحياة[١]، فلما كنا أحراراً، علينا منذ الآن وحتى موتنا أن نضع مشاريعاً لا يمكننا التنبؤ بها الآن، وهذه المشاريع تلخص الحياة التى نريدها[٢]، وما من شك فى أن معنى كل مشروع من المشروعات التى تؤسس حياتنا لا يمكن أن يتأسس بصورة تامة وأخيرة أمام الموت، وما دمنا أحياء، فإن معنى مشروعنا يكون معلقاً بطريقة أو بأخرى؛ فنحن لا نستطيع أن ندعى معرفة المعنى الكامل لمعركة ما ما لم تضع الحرب أوزارها، وبالمثل لا يمكننا أن ندعى معرفة المعنى الكامل لمشروعاتنا الفردية مادمنا أحياء[٣].

نستخلص مما سبق تأكيد «سارتر» على أن الحرية - وليس الموت - هى التى تجعل للحياة معنى؛ ذلك أن معنى الحياة مستمد من أنها تمتد فى المستقبل، وأنها إنتظار لما سيأتى؛ فالحياة على وجه التحديد هى الحرية فى استبقاء الحساب مفتوحاً، وهى نوع من الإنتظار لما «لم يقع بعد»؛ بينما يرى «سارتر» أن الموت هو كل «ما أُنجز وتم»، ولا مجال فيه للحرية أو المعقولية[٤].

رابعاً - على الرغم من أن «سارتر» أكد على أهمية الحرية الإنسانية، وألح فى معنى الحرية؛ إلا أنه جعلها حرية منفصلة عن الإنسان ومنعزلة عنه؛ فأصبحت زائفة خالية من كل قيمة. فإذا نظرنا إلى هذه الحرية من الناحية الأنطولوجية، لوجدنا أنها حرية ميتافيزيقية، وإذا نظرنا إليها من ناحية ممارستها الفعلية؛ فإنها عندئذ تصبح مجرد تعبير عن اندفاع الموجود الإنسانى إندفاعاً تلقائياً، كأن «سارتر» يقترب من مفهوم الحرية

---

(١) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٢) المرجع نفسه، ص: ٢٧٠.

(3) Olson, R.: «An Introduction ...», P. 205, 209.

(٤) جيمس كارس: «الموت والوجود»، ص: ٤٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمعنى البرجسونى، ويجعل منها تعبيراً عن الصيرورة الخالصة والعفوية التلقائية، ومثل هذا التصور للحرية يخلط بين الحرية والتلقائية، وليست التلقائية إلا نوعاً من الحتمية أو الجبرية، فكأن «سارتر» ينتهى إلى نقيض الحرية، ويضع الجبرية أساساً سابقاً عليها، فضلاً عن أن التركيب الأنطولوجى للوعى لا يعبر عن حرية الإنسان، وإنما عن خضوع الإنسان لنوع من القسر أو الإدانة، بحيث يمكن القول إن فلسفة «سارتر» تؤكد الحتمية من حيث تريد أن تؤكد الحرية.

الحرية عند «سارتر» دافع عارض؛ بمعنى أن الإنسان مجبر على الحرية أو مقضى عليه أن يكون حراً، وبذلك نقول إن الحرية السارترية حرية إضطرارية؛ فالوعى مضطر لأن يختار، ورفض الاختيار نوع من الإختيار؛ إنه اختيار سلبى[١]، إذن، مذهب «سارتر» فى الحرية قد أوقعه فى شباك الجدل دون أمل فى الخلاص منه، حتى أنه لم يعد ممكناً أن نعتبر هذه الحرية حرية فعلاً.

خامساً - نجح «هيجل» فى أن يجد مكاناً للموت فى بنيان الفكر، وإن لم يترك مكاناً للفرد؛ بينما نجح «سارتر» فى وضع الفرد فى بناء الفكر، وكان هذا على حساب جعل الموت موضوعاً لا يخضع للفكر؛ فقد دلل «هيجل» على أن الموت ممكن ولكن لم يجد من يموت!، أما نظرية «سارتر» فقد استنقذت الذات الفردية، ولكن حرمتها من إمكانية الموت[٢].

ولكى يوقف «سارتر» إضفاء الذات فى الآخر الذى يحدث عند «هيجل» باستخدامه الديالكتيك، نجد «سارتر» يقصر الديالكتيك على وجود الذات الفردية فى صورة الوعى، وحيث كان الوعى عند «هيجل» فى الديالكتيك مجرد لحظة فى تكشف المطلق عن ذاته، فإن «سارتر» يحاول أن يدلل بقوة على أن الوعى هو الديالكتيك، بمعنى أنه الرغبة والتشوق الذى لا يتوقف ولا يشبع إلا بالموت، وإذا كان «الوعى» هو ما تقوم به الحرية، فإن هذا يعادل قولنا إن طبيعة الحرية هى فى البحث عن تحطيم نفسها[٣].

لقد قدم لنا «سارتر» صورة كئيبة عن الوعى فى صورة الحزن والأسى ذاته، كما جعل الوجود الإنسانى ثكلاً دائماً، ووعياً بذاته، فلسنا مقضياً علينا بالحرية فحسب؛ بل

---

(١) حبيب الشارونى: «فلسفة جان بول سارتر»، ص: ٣٠٥ - ٣٠٨.
(٢) المرجع نفسه، ص: ٤٩٦.
(٣) المرجع نفسه، ص: ٤٨٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالحزن الذى لا راحة منه.

سادساً - أُتهم «سارتر» بعدم الاتساق فى نظرته للموت عندما جعل معرفة الموت تحرم حياتنا من كل معنى؛ فالواقعة الفيزيقية الخاصة بالموت وحدها التى تضع نهاية للوعى، وهى التى تقوم بذلك[١].

وإذا كان الوعى بالموت يضع نهاية لمشروعات الموجود الإنسانى، فهو بالطبع لا يضع نهاية لقوة القرار بمواجهة الموت، وهو ما يؤكد على أهمية «هايدجر» فى تفسيره الأنطولوجى «للوجود - للموت»[٢].

إذن الموت عند «سارتر» يقيد حريتنا، وهو يتساءل عما إذا كان فى غمار تنكره «للوجود - للموت» الذى قال به «هايدجر» لا ينبذ بالفعل وإلى الأبد إمكانية إضفاء معنى بصورة حرة على حياتنا، وهو الأمر الذى نتحمل نحن مسئوليته.

والواقع أن «هايدجر» يعتقد على العكس من «سارتر» بأن الموت وهو يكشف لنا عن نفسه، وعما هو عليه بالفعل إنما يحررنا من ضغطه المزعوم[٣].

سابعاً - إن «الفرد » عند سارتر يحيا غريباً فى الكون، وهذا الغريب لا تؤدى به كل علاقة مع الموجود إلى أن يكون قادراً على أن يجد وحدة مع الوجود؛ بل أن يُقضى عليه بالعدم؛ فالفرد عند «سارتر» ليس له بيت فى العالم، بل لا ينتمى إلى أى مكان، وليس فى أى مكان[¬]؛ بينما الموجود الإنسانى عند «هايدجر» وجود - فى - العالم، موجود مهموم بوجوده ومصيره فى العالم[٤].

ثامناً - مقصد «هايدجر» من نظريته فى «الوجود - للموت» هو التغلب على الخوف من مواجهة الموت؛ فنحن نشرع لأنفسنا نحو الموت بإتخاذ موقف إيجابى نحوه، و«هايدجر» فى ذلك يدين لنيتشه[¬¬]، لقد أراد أن يتغلب على عبثية الموت الذى يداهمنا

---

(١) المرجع نفسه، ص: ٤٩٧.

(2) Olson, R.: «An Introduction ...», P. 207 - 208.

(٣) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٦٣.

(¬) تصدق هذه النظرة عند سارتر فى مرحلة كتابه «الوجود والعدم»، ١٩٤٣، قبل تحوله إلى الماركسية.

(٤) جيمس كارس: «الموت والوجود»، ص: ٤٨٤.

(¬¬) تأثر هايدجر بمفهوم نيتشه عن «حب المصير» **amor fati** كما سبق ذكره؛ فقد أراد نيتشه منا أن نؤكد أو أن نقول «نعم» للحياة والوجود الأرضى، كذلك أراد هايدجر أن نقول «نعم» للموت اللامعقول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دون اختيار منا عن طريق «أن نريد الموت» مهما اتصف باللامعنى والعبثية[١].

تاسعاً - من إيجابيات «الوجود - للموت» عند «هايدجر» تأكيده أن الموت ليس واقعاً فعلياً؛ ولا يعنى هذا أنه ينكر أنه لا يقع بالفعل، ولا يعنى أنه غياب كامل أو أنه بلا مضمون إيجابى يمكن تصوره[٢].

وإذا كان الموجود الإنسانى عند «هايدجر» «وجوداً - للموت» من حيث تركيبه، فإن تفسيره على هذا النحو إنما يتيح له السبيل إلى الوجود الحقيقى[٣]، وبدون الكشف عن الوجود الحقيقى يبقى التحليل الوجودى للوجود الكلى بلا أساس، فضلاً عن أن «الوجود - للموت» يصف إمتلاك الذات المتناهية لذاتها مما يميز «الموجود - الحر - فى - وجوده - فى - العالم»، وبمواجهة ذلك الموجود للموت يصل إلى وحدته، وإلى حريته الحقيقية المتمثلة فى علو الذات أو إدراكها فى الحاضر، «فالوجود - للموت» طريق لوجود الإنسان الحقيقى، علماً بأن وجود الإنسان يعبر عن صيرورة، فهو ليس وجوداً نهائياً؛ ذلك أن الذات وحدها تقف خارج الموجود بعيداً عن ذاتها، وهذا الوقوف خارج الوجود أو علو الذات لا ينتزع من الذات عينيتها الفردية[٤]، إستناداً إلى أن فكرة الموت تصرف الذات عن التفكير فى مشاكل الآخرين، وتضعها وجهاً لوجه بإزاء وجودها الفردى الخاص، ويتحول بذلك فعل الحياة عند «هايدجر» إلى أن يحيا الموجود الإنسانى موته، أو أن تكون الحياة توقعاً مستمراً للحظة النهاية[٥].

عاشراً - نجح «هايدجر» فى أن يحول انتباهنا من الموت «كواقعة» يمكن ملاحظتها فى نهاية الحياة، إلى «الوعى الداخلى»[¬] للموجود الإنسانى بأن «وجوده - للموت»، وعلى الرغم من أن اللحظة الدقيقة للموت السريرى ليست مؤكدة، وهى كامنة

والمفتقر للمعنى.

(1) Olson, R.: «An Introduction ...», P. 208.

(٢) ريجيس جوليفييه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٠٣.

(3) Jolivet, R.: «Le Probléme ...», P. 27.

(4) Slaatte, H. A.: «The Philosophy of M. Heidegger», P. 19 - 21.

(٥) زكريا إبراهيم: «دراسات ...»، ص: ٤٤٠.

(¬) ربما يكون هايدجر قد استلهم فكرته عن «الوجود - للموت» من نيتشه الذى جاء فى كتابه «هكذا تكلم زرادشت» عن «الموت الحر»: «*... الموت الحر الذى يأتينى لأننى أريده*»، كما يقول فى «أفول الأصنام»: «*بسبب حبنا للحياة علينا أن نريد موتاً مختلفاً: حراً، واعياً، لا تردد فيه*»

(Cp.: Olson, R.: «An Introduction ...», P. 200.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى مكان ما فى ضمير الغيب، فإن الموت حاضر بالفعل بوصفه ضرباً من الإمكان المؤكد؛ بل هو أكثر الممكنات كلها يقيناً؛ فالموجود الإنسانى الذى هو وجودى محفوف بالمخاطر، ويمكن فى أية لحظة أن يختفى فى العدم[١].

حادى عشر - تابع «هايدجر» الشعراء وبصفه خاصة «ريلكه» **Rilke, R.** الذى لم يقبل إعتبار الموت توقفاً مطلقاً للوجود أو وجوداً فى صورة لا إنسانية، كما تأثر «بمالرو» **Malreaux** فى اعتبار الأخير للموت على أنه الحلقة الأخيرة فى سلسلة متوالية، وأنه يمكن إضفاء الطابع الداخلى والإنسانى على الموت نفسه، وهو متعلق بالحياة رغم ذلك، فضلاً عن أن الموت لا يحمل الطابع الإنسانى فحسب؛ وإنما يغدو «موتى أنا»، وأُصبح مسئولاً عنه كما أننى مسئول عن حياتى، لأن الحياة تأهب للنهاية. والأمر كما يصفه «هايدجر» ليس ظاهرة زوالى التجريبية والمشروطة، وإنما الطابع المتناهى للحياة هوالذى يجعل «حياتى» وكذلك «موتى» منتمين إلىَّ[٢].

ثانى عشر - إنفرد «هايدجر» بالقول بأن مشكلة الموت تقودنا حتماً إلى إثارة مشكلة الزمان مادام الأصل فى الموت إنما هو زمانية الموجود الإنسانى، ولذلك يمهد «هايدجر» لدراسته الأنطولوجية «للزمان» بدراسة أنطولوجية أخرى «للموت» على اعتبار أن «الموت» وحده هو الكفيل بالكشف عن طبيعة المستقبل، وأن الموت هو تلك النهاية التى تستطيع الآنية عن طريقها أن تصبح كلاً.

ويمكن القول إنه بقدر ما يتحرر تفكيرنا من إسار الزمان تكشف الأبدية عن نفسها - وفى الزمان، ومن خلال الموت ننسحب من كل ما هو زمانى، ونلحق بكل ما هو أبدى؛ أى نلحق بالوجود ذاته مما لا نجد مثيلاً له عند «سارتر» . إذن، الموت هو الظاهرة الهامة التى يمكن أن تبين الأساس الحقيقى والأنطولوجى للموجود الإنسانى، كما أن الإدراك الأنطولوجى للموت يسمح لنا بالانتقال من التساؤل عن طرق وجود الإنسان - فى - العالم إلى السؤال الأساسى عن معنى الوجود؛ علماً بأن هذا الوعى بالوجود هو أيضاً أسلوب لوجود الإنسان الحقيقى.

لقد فسر «هايدجر» الزمان من خلال البنية الوجودية للموت؛ فالموجود الإنسانى

---

(١) جون ماكورى: «الوجودية»، ص: ٢٨٣.

(٢) جاك شورون: «الموت فى الفكر الغربى»، ص: ٢٥٦ - ٢٥٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفهم ذاته فهماً حقيقياً أو زائفاً فى ضوء «الإمكانية القصوى لوجوده» أو الموت، كما أن السؤال عن البنية الكلية للوجود والوجود الحقيقى ليس فى النهاية سوى مشكلة الموجود المتناهى الحر[1]، ولا نجد مثل هذا التفسير فى فلسفة «سارتر».

ثالث عشر - يمكننا أن نأخذ على مصطلح «الوجود - للموت» ما فيه من غموض؛ فكلمة «للموت» يمكن أن تؤخذ بمعنيين مختلفين تماماً؛ هما «الحد»، و «الغاية»؛ فهى تعنى أن الموت هو الحد الضرورى للوجود الإنسانى، ولا يلزم عن ذلك أن الوجود الإنسانى لا يهدف إلى «غاية» أخرى غير الموت؛ فالإنسان وُجد ليموت من حيث إن الموت قانون محتوم «للحالة الإنسانية»؛ ولكنه لا يهدف إلى «الموت»، لأن الموت ليس هو المعنى المطلق الحاسم للوجود، ولا نستطيع أن ننتقل من المعنى الأول إلى الثانى كما يفعل «هايدجر»، أو إذا شئنا لا نستطيع أن ننتقل من الواقع إلى القانون[2].

« والله ولى التوفيق »

---

(١) كاتبة السطور: «الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر»، ص: ٣١٩ - ٣٢٠.

(٢) ريجيس جوليفيه: «المذاهب الوجودية ...»، ص: ١٠٣ - ١٠٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمـــة المصـــادر والمراجـــع

أولاً - المصادر الألمانية

Heidegger, M.: «Prolegomena zur Ceschichte des Zeit Begriffs», Cesamtausgabe, B. 20 herausgeg. von Petra Jaeger, Vittorio Klostermann, Frankfurt Am Main, Germany, 1979.

ثانياً - مصادر أجنبية مترجمة

Heidegger, M.: «Being & Time, trans. By John Macquarrie & Edwards Robinson, Basil Blackwell, Great Britain, 1963.

Sartre, J. P.: «Being & Nothingness - An Essay on Phenomenological Ontology», trans. By Harzel E. Barnes, Metheuen & Co. L.T.D, London, 1977.

ثالثاً - المراجع الأجنبية

Badawi, A.: «Le Problème de la Mort dans le Philosophie Existentelle», Faculté des Lettres de L'Université Ain Shams, 1964.

Chapelle, A.: (L'Ontologie Phénomenologique de M. Heidegger - un Commenteire de Sein und Zeit), Ed. Universitarises, Paris, 1962.

Ehman, R. R.: «The Authentic Self», Prometheus Book, New York, U.S.A, 1994.

Gelven, M.:«A Commentary on Heidegger's Being & Time», Harper & Row Publishers, New York, U.S.A, 1970.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Jolivet, R.: «Le Problème de la Mort Chez M. Heidegger et J. P. Sartre», Ed. De Fontenelles, 1950.

Langan, T. «The Meaning of Heidegger - A Critical Study of an Existentialist Phenomenology», Routledge & Kegan Paul LTD, London, Great Britain, 1959.

Magda, K.: «Heidegger's Philosophy - A Guide to His Basic Thought», Basil Blackwell, Oxford, The Macmillan Comp., New York. U.S.A., 1964.

Olson, R. G.: «An Introduction to Existentialism», Dover Publications Inc., New York, U.S.A., 1962.

Slaatte, H. A.: «The Philosophy of M. Heidegger», Uni. Press of America, Inc. U.S.A., 1984.

Steiner, G.: «Heidegger - Ein Einführung aus dem Englischen von Martin Pfeiffer, Carl Hanser Verlag, München, 1989.

Sternberger, A.: «Der Verstandene Tod - Eine Untersuchung zu M. Heideggers Existenzial Ontologie, Verlag von Hirzel in Leipzig, 1934.

رابعاً - الدوريات الأجنبية

Edwards, P.: «Heidegger & Death as a Possibility», in «Mind», Vol. LXXXIV, 1975.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خامساً - مصادر مترجمة إلى العربية

سارتر، جان بول: «الوجود والعدم»، ترجمة عبد الرحمن بدوى، منشورات دار الآداب، بيروت، ط ١، ١٩٦٦.

هايدجر، مارتن: «نداء الحقيقة»، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الغفار مكاوى - سلسلة النصوص الفلسفية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧.

سادساً - المراجع العربية

إبراهيم، زكريا: «دراسات فى الفلسفة المعاصرة»، ج ١، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٠.

الشارونى، حبيب: «بين برجسون وسارتر، أزمة الحرية»، دار المعارف بمصر، ١٩٦٣.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــ: «فلسفة جان بول سارتر»، منشأة المعارف، الإسكندرية، (ب.ت.).

جعفر، صفاء عبد السلام: «الوجود الحقيقى عند مارتن هايدجر»، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

جوليفيه، ريجيس: «المذاهب الوجودية من كيركجور إلى سارتر»، ترجمة فؤاد كامل، مراجعة محمد عبد الهادى أبو ريدة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢.

كارس، جيمس: «الموت والوجود - دراسة لتصورات الفناء الإنسانى فى التراث الدينى والفلسفى العالمى»، ترجمة بدر الديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨.

كامل، فؤاد: «فلاسفة وجوديون»، سلسلة مذاهب وشخصيات، العدد الأربعون، مطابع الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سابعاً - دوريات عربية

بوشنسكى إ، م: «الفلسفة المعاصرة فى أوروبا»، ترجمة عزت قرنى، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٦٥، ١٩٩٢.

شورون، جاك: «الموت فى الفكر الغربى»، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٧٧، ١٩٨٤.

ماكورى، جون: «الوجودية»، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٥٨، ١٩٨٢.

متى، فائق: «الإتجاهات الميتافيزيقية فى الأدب»، مجلة الفكر المعاصر، العدد الثامن، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة، أكتوبر ١٩٦٥.

ثامناً - معاجم فلسفية

صليبا، جميل: «المعجم الفلسفى»، ج ١، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com